أبو تراب الظاهري وإسهاماته في ترويج اللغة العربية وآدابها

Abu Turab Az-Zahiri Wa Ishaamaatuhu Fi Tarweejil Lughatil Arabiyyah Wa Adaabiha

(ABU TURAB AL-ZAHIRI AND HIS CONTRIBUTION TO THE PROMOTION OF ARABIC LANGUAGE & LITERATURE)

بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

إعداد و تقديم

عطاء الرحمن

تحت إشراف

الدكتور محمد قطب الدين

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

١١٠٠٦٧

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

25 July, 2016

DECLARATION

I declare that the dissertation entitled "**Abu Turab Al-Zahiri and his contribution to the promotion of Arabic Language and Literature**" submitted by me is in the partial fulfillment of the requirements of the award of the degree of **Master of Philosophy** of this University. This dissertation is my original research work and has not been submitted for any other degree of this University or of any other university/institution.

Ataur Rahman

ATAUR RAHMAN

(Research Scholar)

CERTIFICATE

We recommend that this dissertation be placed before the examiners for evaluation.

25/7/16

DR. MD. QUTBUDDIN

(Supervisor)

CAAS/SLL&CS/ JNU

Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

25/7/16

PROF. RIZWANUR RAHMAN

(Chairperson)

CAAS/SLL&CS/JNU

Chairperson
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi -110067

مقدمة البحث

الحمد لله ذي الإنعام ، والشكر له على الامتنان، والصلاة والسلام على أشرف الأنام، وعلى آله وصحبه إلى يوم المعاد، أمَّا بعد :

فقد بَلَتْ رحلتي الماتعة مع أبي تراب الظاهري منذ المرحلة الجامعية حينما قرأت كتابه (الموزون والمخزون) فهالني أسلوب الرجل، وعجبت من موسوعيته، وساورني شك في كونه في هذا العصر، فأسلوبه وموسوعيته تَعبق بشخصيات قديمة تجمع فنونا مع علوم، وتنأى عن التخصص ، وتعشق التمدد .

وبقيت علاقتي بهذه الشخصية إلى هذا الحدِّ ، ولمَّا يسَّر الله لي مواصلة دراستي العليا اقتربت من الأدب القديم، وعشقت قراءته، وبقيت جذوره عميقةً في نفسي، وفي بحثي اللاهث عن موضوع لبحث ما قبل الدكتوراه قدَّمت رجلا وأخرت أُ خرى ، كعادة كثير من الدارسين، وفتَّشْت في أدبنا القديم ، وفي أثناء انهماكي في البحث أرشدني بعض الأساتذة إلى دراسة أدب أبي تراب، فأقدمت على تراثه المنشور، واستعرضت نماذج كثيرة من أدبه، فوجدت شعرا كثيرا، وجمهرة من المقالات أعياني تتبعها ، وملاحقة المنشور منها أو المخطوط، فوجدت ضالَّتي ، ولقيت نُشْدَتي ، فها هو القديم في العصر الحديث .

وعكفت أقلب هذا التراث الأدبي الضخم فوجدته يتدثَّرُ بصياغةٍ متينة، وانتقاء للألفاظ، وقدرةٍ على توظيفها في النصوص الأدبيةإنْ شعراً أو نثراً ، وبحثتُ عن كلمات سجَّلها الدَّارسون والباحثون عن هذا الأديب فلم أعثر إلا على شذراتٍ من ثنلٍ سطَّرها الأقربون منه ، العارفون لمكانته، الشاعرون بانزوائه، كالأديب محمد حسن عواد، وصديقه الحميم محمد حسين زيدان، والشاعر محمد حسن فقي ، وبقي قوم يرددون عبارات الذمِّ لأسلوبه، فهو كثير الإغراب ، دائم التصنع، يكتب بلغة عتيقة ، وأسلوبٍ مبْهَم، وتتكرَّر النماذج في كل مقلٍ يصَدِّرُ فيه هؤلاء أحكامهم، فازداد إصراري- حينئذٍ- على تبديد تلك الأحكام التي ربما صَدَقَت على شيءٍ من أدبه ، لكنها لا تَصْدُقُ عليه جملةً واحدة.

ثم أجمعت أمري، واسْتَشَرتُ أستاذي الدكتور محمد قطب الدين فوجدت منه التشجيع والحث، فاشتدَّ عزمي ، وقَويت إرادتي على دراسة أدب أبي تراب.

ولمَّا رأيت كثرة الخلط في اسم أبي تراب، ونشأته ، وأعماله، وحياته العلمية، وغير ذلك من أمور حياته عزمت على تخصيص جزء من الدراسة لحياته .

وقد سرتُ في هذا البحث وفق مخططٍ مكون من مقدمة وثلاثة أبواب، وخاتمة، وذيلته بثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات حسب التفصيل التالي:

مقدمة البحث

الباب الأول: أبو تراب الظاهري عصره وحياته وآثاره

الفصل الأول – الحالة الطبيعية والسياسية والاجتماعية والثقافية في عصر أبي تراب الظاهري

الفصل الثاني – الاتجاهات العلمية والأدبية في عصر أبي تراب الظاهري

الفصل الثالث: حياته وآثاره العلمية والأدبية

الفصل الرابع – العوامل المؤثرة في أدبه

الباب الثاني: أبو تراب الظاهري شاعرا

الفصل الأول – موضوعات شعر أبي تراب

الفصل الثاني – خصائص شعر أبي تراب الفنية

الباب الثالث: أبو تراب الظاهري كاتبا

الفصل الأول – موضوعات نثر أبي تراب

الفصل الثاني – خصائص نثر أبي تراب الفنية

خاتمة البحث

ثبت المصادر والمراجع

أمَّا المقدمة: فضمَّنتها حديثاً عن أهمية الموضوع ، وسبب اختياره، ومنهجي في البحث.

وفي الباب الأول: ذكرت أولا الأحوال الاجتماعية والسياسية والعلمية لعصره باختصار ثم تناولت حياة أبي تراب ، تناولت اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، ورحلاته، وتحصيله العلمي ، وأبرز أعماله، ووفاته، وتحدثتُ عن أبرز آثاره، وألمَع المؤثرات في أدبه .

ثمَّ جاء الباب الثاني لدراسة شعر أبي تراب، فدَرَست أبرز أغراضه الشعرية وهي : المدح، والرثاء ، والشكوى ، والعتاب، ثمَّ بدأت رحلة التقويم للشعر من العنوان – والمطلع والخاتمة – إلى الوحدة ثم تناولت اللغة الشعرية والصورة والموسيقا.

وفي الباب الثالث درست نثر أبي تراب ، وبدأت بفصلٍ تحدثت فيه عن أبرز موضوعاته وأعقبت هذا الفصل بفصلٍ آخر تناولت فيه الخصائص الفنية لنثر أبي تراب.

ثمَّ جاءت الخاتمة مشْتَمِلة على خلاصةٍ للبحث.

أمَّا منهجي في البحث فقد حرصت فيه على الاستفادة من الدراسات الحديثة، وخاصة الأسلوبية، للوصول إلى نتائج دقيقة، وأحكام عادلة، والتزمت بأمورٍ منهجية من أبرزها :

١- توثيق النصوص بذكر اسم المصدر، أو المرجع ، واسم المؤلف ، والدار، وسنة الطباعة، ورقم الجزء والصفحة ، وحينما يتكرر المصدر أو المرجع أكتَفِي بذكر اسمه، واسم مؤلِّفِه من دون ذكرالبيانات الأخرى.

٢- وفي توثيق المقالات الصحفيةُ ثبت عنوان المقالة، واسم الكاتب، والمصدر، والعدد إن وجِد، وتاريخ النشر .

وفي مقام الشكر والامتنان ، فإنني أحْمدُ المولى الكريم على التيسير والتوفيق، وأزجي شكري وتقديري إلى كلِّ من شاركني همَّ البحث، وأسهم في استوائه على سُوْقِهِ، وأخصُّ منهم الأستاذ الدكتور محمد قطب الدين المشرف على الرسالة أعبق شكر، وأعطر تقدير، فقد استفدت من توجيهاته السديدة، وآرائه الدقيقة، وقد أحاطني برعايته، فنهلت منه علما وخلقا، فجزاه الله خيرا على ما قدَّم، وأمدَّ في عمره على الخير والطاعة .

الباب الأول:

أبو تراب الظاهري: عصره وحياته وآثاره

الفصل الأول : الحالة الطبيعية والسياسية والاجتماعية والثقافية في عصر أبي تراب الظاهري

الفصل الثاني: الاتجاهات العلمية والأدبية في عصر أبي تراب الظاهري

الفصل الثالث: حياته وآثاره العلمية والأدبية

الفصل الرابع : العوامل المؤثرة في أدبه

الفصل الأول :

الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر أبي تراب الظاهري

الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية للقارة الهندية في عصر أبي تراب:

كانت للعرب صلات وعلاقات تجارية مع الهند قبل الإسلام، كما كان بين العرب والهنود قبل الإسلام علاقات مذهبية وعقائدية. وبعد الإسلام بدأ المسلمون يتوافدون على سواحل الهند في عهد الخلفاء الراشدين، وفتحوا ثغورا عديدة في الهند. ثم بدأ الفتح الجديد للهند على أيدي الغزنويين الأتراك من ناحية غزنة (أفغانستان). وفي عام 1526 م فتح السلطان ظهير الدين بابر الهند. وخلفه ابنه همايون، ثم أكبر، ثم جهانجير، فشاهجهان ثم أورنجزيب وبعد وفاته عام 1707 م بدأت عوامل الضعف والانهيار تدب في أوصال الدولة المغولية؛ إذ حكمها سلسلة من الملوك الضعاف، بهادر شاه الثاني في سنة 1837م، وكان آخر ملوك الأسرة المغولية، وقد نفاه الإنجليز إلى رانجون في بورما بعد ثورة 1857 م، وبذلك انتهى حكم الدولة المغولية للهند ، وبدأ حكم الإنجليز المباشر للهند من عام 1857 م، واستمر حتى عام ١٩٤٧ م، وتم تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولة الهند التي تضم أغلبية هندوسية، ودولة باكستان التي تضم أغلبية مسلمة[1].

وكان المجتمع الهندي ينقسم إلي طبقتين قبل الاحتلال الإنجليزي: الأولى: تضم أهل العلم، وأهل الدين، وأهل المال، والإقطاعيين. والثانية: تضم الحرفيين، والصناع. وعندما جاء الإنجليز حطموا هذا النظام، واتبعوا سياسة تفريق الجماعات المختلفة حتى تضعف نفوذها[2].

وسيطر الإنجليز على اقتصاد الهند في تلك الفترة، وأصبحت سوقا محتكرة لتجارتهم، وكانت المزارع تمول من الرأسماليين البريطانيين، وشجع الإنجليز بعد الثورة إقامة الأوربيين. وبعد فشل الثورة تلاشت السلطة السياسية الباقية للمسلمين. وانعكس هذا التحول السياسي على تدهور الأوضاع الاقتصادية والحضارية لهم ووقع المسلمون في شرك الإحساس بالدونية والضآلة وانتشر فيهم الفقر والمرض والجهل ولم يعد هناك أي عمل يمارسونه، ولم يبق هناك تصور واضح ومحدد لمستقبلهم بعد أن فترت هممهم ونضبت ملكات الفهم ومواهب التفكير لديهم، وتراجعت قيمهم الأخلاقية والحضارية الموروثة أمام الأفكار والنظريات الغربية، وأصبحت سحب اليأس والقنوط مخيمة على كل مكان[3].

---

[1] الجماعة المسلمة في الهند خلال قرن ، جلال سعيد الحفناوي، عدد خاص من حولية أمتى فى العالم - م ٢٠٠١ – ٢٠٠٠ - الكتاب الخامس - مجلة "الأمة فى قرن : الأقوام والأعراق والملل فى عالم متداخل"، مطبوع من مركز الحضارة ، القاهرة

[2] اللغة العربية في الهند عبر العصور، د. خورشيد أشرف إقبال الندوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2014م، ص 67

[3] المصدر السابق ، ص 105

الحالة الاجتماعية والسياسية والثقافية للمملكة العربية السعودية في عصر أبي تراب:

وصف المؤرخون الحالة السياسية و الاجتماعية في الجزيرة العربية في أوائل القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) بالتفكك و انعدام الأمن وآثرة الإمارات المتناثرة مما أوجد حالة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي إضافة إلى ضعف الوازع الديني بسبب انتشار البدع و الخرافات و مهدت هذه الحالة لعقد اللقاء التاريخي بين حاآم الدرعية وأميرها محمد بن سعود بن محمد بن مقرن وبين الإمام المجدد المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب. حيث إن الإمام محمد بن سعود قد تولى إمارة الدرعية في 1727 م بعد مقتل أميرها زيد بن مرخان بن وطبان ، و أسس إمارة قوية أصبحت فيما بعد مرآزا لانطلاقة تأسيس الدولة السعودية الأولى. كانت بداية السعودية بتأسيس الدولة السعودية الأولى (إمارة الدرعية) على يد محمد بن سعود سنة 1744 والتي انتهت سنة 1818، ثم تبعتها الدولة السعودية الثانية (إمارة نجد) وكانت قد بدأت بعد سقوط الدولة الأولى إلى أن انتهت سنة 1891.لاحقًا جرت محاولات لتأسيس دولة سعودية ثالثة فتم ذلك على يد عبد العزيز ابن سعود سنة 1902، فأصبحت لاحقًا سلطنة نجد ثم بعد ذلك مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها إلى أن أصبحت تحت مسمى المملكة العربية السعودية بعد توحيد جميع أراضيها في كيان واحد، وكان ذلك في 23 سبتمبر 1932م. ففي يوم السابع عشر من شهر جمادى الأولى عام 1351 هـ الموافق التاسع عشر من شهر سبتمبر عام 1932 م تم صدور أمر ملكي أعلن فيه توحيد البلاد و تسميتها باسم (المملكة العربية السعودية) ابتداء من يوم الخميس 21 جمادى الأولى عام 23 سبتمبر 1932 م (الأول من الميزان) و توج هذا الإعلان جهود الملك عبد العزيز الرامية إلى توحيد البلاد و تأسيس دولة راسخة تقوم على تطبيق أحكام القران و السنة النبوية الشريفة و بهذا الإعلان تم تأسيس المملكة العربية السعودية التي أصبحت دولة عظيمة في رسالتها و إنجازاتها و مكانتها الإقليمية و الدولية ، و حدد بعد ذلك الأول من الميزان الموافق للثالث و العشرين من شهر سبتمبر ليصبح اليوم الوطني للمملكة[1] .

تتألف السعودية حاليًا من ثلاثة عشرمنطقةً إداريّةً، تنقسم كلّ منطقةٍ منها إلى عددٍ من المحافظات يختلف عددها من منطقةٍ إلى أخرى، وتنقسم المحافظة إلى مراكز ترتبط إداريًا بالمحافظة أو الإمارة يوجد بها المسجد الحرام الواقع فيمكة المكرمة، والمسجد النبوي في المدينة المنورة، واللذان يعدان أهم الأماكن المقدسة عند المسلمين.

ظل التعليم هدفا رئيسا من الأهداف التي سعى الملك عبد العزيز و أبناؤه من بعده على تحقيقها لأبناء المملكة و محاولة تعميمه مجانا لأهل هذه البلاد ، و قد أدرك قادة المملكة منذ عهد المؤسس الملك عبد العزيز حتى الوقت الحاضر أن تعليم أبناء المملكة و بناتها هو الثروة الحقيقية والدعامة الأساسية لبناء دولة قوية مسلمة عصرية .

وقد تطور التعليم تدريجيا حسب إمكانات البلاد الاقتصادية و البشرية ، و لكنه خطا خطوته الواعدة منذ تولى الأمير فهد بن عبد العزيز أول وزارة للمعارف في المملكة ، وقتها بدأت تظهر

[1] إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، د. إبراهيم الفوزان، مطابع الفززدق التجارية، الرياض، 1981م، ص 13

ملامح السياسة التعليمية وأسسها التي آانت النواة للنهضة التعليمية المذهلة التي نعيشها في هذا الوقت، و يقوم التعليم في المملكة على العديد من الأسس العامة و تتضمن سياسة التعليم أسساً مهمة أخرى تتلخص في تنمية روح الولاء لشريعة الإسلام _ النصيحة لكتاب الله وسنة رسوله بصيانتهما ورعاية حفظهما وتعهد علومهما و العمل بما جاء فيهما ، تربية المواطن المؤمن ليكون لبنة صالحة في بناء أمته ويشعر بمسؤليته لخدمة بلاده و الدفاع عنها .

و في المجال الفني و الثقافي فقد حققت الرئاسة العامة لرعاية الشباب نجاحا ملموسا ، فقد أنشئت الأندية الأدبية التي يبلغ عددها حاليا اثني عشر ناديا ، آما أنشئت الجمعية العربية السعودية للثقافة و الفنون التي لها ثمانية فروع في مدن المملكة . و تحرص الدولة على تشجيع الحرآة الثقافية حيث تقيم معظم المناطق (الإمارات) الآن جائزة للتفوق العلمي مثل جائزة الأمير محمد بن فهد وغيرها من الجوائز المماثلة خاصة في الرياض و أبها و الباحة و مكة المكرمة و تبوك و غيرها من المناطق[1].

أما المهرجانات الثقافية و التراثية فيأتي في مقدمتها المهرجان الوطني للتراث و الثقافة و المعروف بالجنادرية ، الذي تطور من سباق للهجن إلى مؤسسة ثقافية متميزة تستقطب آل عام نخبة من المفكرين و المثقفين من العالم العربي و الإسلامي و الغربي ليتناقشوا في المسائل الثقافية المعاصرة .

وفي 17 جمادى الأولى 3511 ه صدر مرسوم ملكي بتوحيد آل أجزاء الدولة السعودية الحديثة في اسم واحد هو "المملكة العربية السعودية" وأن يصبح لقب الملك عبدالعزيز "ملك المملكة العربية السعودية"، واختار الأمر الملكي يوم الخميس 21 جمادى الأولى 1351ه يوماً لإعلان توحيد المملكة العربية السعودية وهو اليوم الوطني للمملكة.

ومن الناحية الاجتماعية فكان التقليد العربي القديم في الكرم ما زال قائما حتى يومنا هذا من قاطني المدينة و البدو. الزي السعودي الرسمي الخاص بالرجال عبارة عن قميص طويل مصنوع من القطن أو الصوف ويسمى الثوب، بالإضافة إلى الشماغ وهو عبارة عن قطعة قماش مصنوعة من القطن ومخططة بالأحمر ويثبت على الرأسبالعقال الأسود، إلى جانب الغترة وهي عبارة عن قطعة قماش بيضاء مصنوعة من القطن الخفيف. أما بالنسبة للزي التقليدي المخصص للنساء عمومًا فهو غطاء أسود ساتر للجسم ويسمى العباية بالإضافة إلى غطاء الرأسالطرحة والنقاب. من الموانع والمحرمات داخل أراضي المملكة أكل لحم الخنزير وشرب الخمور بكافة أنواعها، وتعد القهوة العربية من أهم تقاليد المجتمع السعودي عامة وإحدى أهم مظاهر الضيافة[2].

---

[1] المصدر السابق، ص 15

[2] دور المملكة العربية السعودية في تطوير الأدب ، د. محمد أنور حفيظ الندوي، مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة، 2007م، ص 25

ولكن الحياة أخذت تتغير صورتها في نفوس أدبائنا عندما بدأ جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود يزحف بجيوشه زحف الإمام المصلح ويغير وجه التاريخ، فإذا الجزيرة العربية، بعد فترة من الكفاح والجهاد، موحدة بعد تمزق قوية بعد ضعف، طامحة فرحة بعد دعائم النهضة الأدبية والفكرية في بلادنا، ذلك لأن زعامته لا تقتصر على الناحيتين السياسية والحربية فحسب. بل كانت شاملة لكافة الميادين الأخرى التي لابد منها لنهضة أمة من الأمم. وإذا كانت بداية النهضة الأدبية في مصر تؤرخ بحكم الخديوي إسماعيل (1863-1879)، فإن بداية هذه النهضة تؤرخ في بلادنا بحكم الملك عبد العزيز الذي شجع الصحافة وشجع حرية القول وأنشأ دور العلم وبعث البعوث إلى خارج البلاد وقام بالكثير من أوجه الإصلاح الديني والاجتماعي والاقتصادي إلى غير ذلك.

لقد كانت البلاد في أوائل العهد السعودي في حالة تكون وانبعاث. فمن الناحية السياسية كانت الخريطة الجغرافية تتغير وتتسع تدريجيا منذ فتح الملك عبد العزيز للرياض سنة 1902م، وحتى إعلان البلاد وحدة سياسية تحت اسم جديد هو (المملكة العربية السعودية) سنة 1932م.

ومن الناحية الاجتماعية نرى الحواجز تزول قليلاً قليلاً بين سكان المدن والمناطق المتباعدة لتحل محلها وحدة وطنية تجمعها العقيدة والتاريخ المشترك[1].

كانت البلاد تولد من جديد، وكذلك كان أدباؤنا الذين عاشوا تلك الحقبة التاريخية وشاهدوا ما يحدث فيها من تحول وتطور. لقد ملأت الأحداث نفوسهم وشعروا بشيئ غير قليل من الزهو والغعتزاز، الأمر الذي جعلهم يبحثون عن كيان لأدبهم يواكب الكيان الجديد الذي صنعه عبد العزيز وهيأه لهم في المجالات الأخرى. ومن مظاهر هذا البحث رجوعهم إلى الماضي يستنطقونه ويلتمسون فيه القوة والإلهام، بل ويلتمسون فيه شخصية الأمة التي توارت.

إن لجزيرة العرب قديما وحديثا أهميتها الحيوية لدى العالم كلّه. فهي مهد العرب، وموطن حضارتهم الأولى، وفيها بيت الله الحرام، وهي ذات موقع جغرافي متميّز، وهي حلقة وصل تجاري مهمّة، وبها بعض الدول الأوربية ذات الأطماع الاستعمارية تتنافس على مدّ نفوذ لها على أجزاء منها خاصة في سواحلها، لتؤمن طرق مواصلاتها إلى مستعمراتها في شرق آسيا وجنوبها.ثم ازدادت أهميّتها إثر تدفُّق النفط من أراضيها، واكتشاف أنها ذات احتياطي هائل منه. وللمملكة العربية السعودية، بالنسبة لجزيرة العرب مكان الصدارة. فقد منحها الله من الثروة الدينيّة بأنها تشتمل على مكة المكرمة والمدينة المنوّرة، وأيضا الثروة النفطية بالذات ما ساعد على تحقيق تقدم في جميع جوانب حياة شعبها[2].

---

[1] دور المملكة العربية السعودية في تطوير الأدب ، د. محمد أنور حفيظ الندوي، مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة، 2007م، ص 27

[2] إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، د. إبراهيم الفوزان ، ص 19

الفصل الثاني:

الاتجاهات العلمية والأدبية في عصر أبي تراب الظاهري

الأدب العربي بعد ثورة (1857م) في الهند: معلوم للجميع أن العهد المغولي الذي حكم على البلاد الهندية من 1526م إلى 1857م يعتبر عهداً ذهبياً في تاريخ الأمم والحكومات، وفي هذا العهد أنجبت الهند رجالاً عباقرة يذكرهم التاريخ ويسر بذكرهم الركبان والقوافل على تعاقب الأعصار والأجيال ولكن هذا العهد المغولي قد واجهه بعد وفاة السلطان محي الدين عالمكير أزمات كاسرة ومشاكل داهمة لأن أولاده وأحفاده لم يكونوا على سيرة أبيهم وأجدادهم، لا في العلم ولا في الحكم، ولا في العقل والسياسة، بل حدثت فيما بينهم اختلافات ومنافسات داخلية، ومعارك قاتلة تسهل أعداءهم وأعداء المسلمين أن يستولوا على هذه البلاد الإسلامية، التي حكمها المسلمون ثمانية قرون تقريباً، والقوة الأجنبية الكبرى التي يذكرها التاريخ باسم الشركة التجارية البريطانية قد دخلت فيما قبل إلى الهند، وأقامت شركة تجارية كبرى على سواحل الهند، وحصلت على بعض الامتيازات من الدولة، وكانت لها أطماع سياسية وأغراض مهينة هالكة، فانتهزت فرصة هؤلاء السلاطين الضعفاء على منصة الحكم، وبدأت تحيك المؤامرات بالاشتراكات مع بعض الخونة من نواب الدولة في البنغال، ثم زادت فزادت من قوتها العسكرية محجة حماية مصالحها التجارية في كولكاتا بصفة خاصة إلى أن نجحت في الاستيلاء على القسم الشرقي من الدولة أي بنغال، ومقاطعة بهار وأريسة وأرريا، ثم سيطرت على الهند كلها في القرن الثامن عشر للميلاد وخاصة بعد ثورة 1857م، والدولة الإسلامية المركزية مازالت لاهية عابثة غارثة في اللهو واللعب والانغماس في المنافسات الداخلية والمتحاربات النفسية، ثم تقلصت الدولة المركزية بانفصال الأجزاء الرئيسية التي كانت مصدر قوة ودعم العاصمة الإسلامية، ثم يبق في السلطة المركزية إلا أجزاءها المنهارة، ثم سقطت في معركة 1857م شر سقوط، وهكذا توزعت قوة المسلمين لسبب المؤامرات والانتشار وهكذا ختمت العهود الإسلامية في شبه القارة الهندية وحلت محلها الحكومة الانكليزية ثم جاءت مرحلة التقسيم، وخرجت دولة الهند والباكستان[1]. يشير الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي في كتابه "رجال الفكر والدعوة في الإسلام" في الجزء الخامس إلى هذه الأسباب وإلى هذه الحقيقة التارخية، يقول:

"بعد وفاة السطلان أورنك زيب عالمكير 1707م، وبدأ تفككت الهند سياسياً، وأ، خلفاء أورنك زيب لم يكونوا رجالاً أكفاء في الدين والسياسة وبذلك وبسبب مؤامرات الأمراء تفرقت كلمة المسلمين، وحدث انفصال عدة أجزاء من الحكومة المركزية بدلهي، وكان في مقدمتها حكومة آصف جاه ونظام الملك في الدكن، وسعادت علي برهان الملك في أودهـ وعلي وردي مهابت

[1] اللغة العربية في الهند عبر العصور، د. خورشيد أشرف إقبال الندوي، ص 97

جنك في البنغال، وقد مهد هذا النضال الطريق لتوزع قوة المسلمين وتشتت شملهم وغلبة الأعداء وشجع ضعف قوة المسلمين المركزية القوي الانفصالية الأخرى لغير المسلمين على الاستيلاء على مناطق جديدة"[1].

ثم يضيف فيقول:

"كان الإنجليز قد استولوا على بنغال وأريسة وبيهار في عام 1756م واستولت الشركة البريطانية على أجزاء في الجزء الشمالي للهند كبنارس وغازيفور، ولم يعد الملك المغولي إلا خاضعاً لأوامر الشركة البريطانية يعيش على ما تقدمه هذه الشركة من مكافأة، وأن حكومة المسلمين ضعيفة ذليلة لا حول لها ولا صولة، ثم دخلت قوات الإنجليز دلهي بقيادة اللوردليك وعنيت راتب السلطان المغولي مائة ألف روبية، فأصبح الملك المغولي أسيراً في القلعة، في عام 1857م استولى الإنجليز كلياً على الهند بعد فشل محاولة الثورة التي قادها العلماء، ونفى آخر الملوك المغول بهادر شاه ظفر إلى رنجون عاصمة بورما وبها توفي سنة 1278هـ"[2].

ولكن من الغريب أن هذا العهد الذي كان انتشر فيه الفساد الخلقي، وعمت الفتن المدلهمة، وساهمت الاضطرابات الطائفية والداخلية وتزعزع فيه الكيان السياسي للمسلمين وزالت هيبة المسلمين من النفوس، وغلبت عليهم قوى الأعداءوخرجت من سيطرتهم الهند كلها، كان عامراً بالشخصيات العلمية، فقد كانت دلهي عامرة لشخصيات علمية نادرة، كما من غرائيب الأمور أن في مثل هذه الأوضاع المتردية والفتن السياسية والفساد الاجتماعي نبغ عدد من كبار علماء العربية في الهند الذين انتجوا أروع الأعمال العلمية في العربية وأثروا المكتبة العربية في شبه القارة الهندية بآثارهم وتأليفاتهم هكذا يقول الدكتور محمد رضوان في كتابه "اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية والباكستانية عبر القرون" مد على الرغم من تحكم الإنجليز الاستعمار الإنجليزي في شبه القارة وبسط سيادتهم على كافة أرجاءها في القرن التاسع عشر، فقد ظلت الدراسات العربية في اللغة والأدب على حالها، بل بدأت تخوض بعض النواحي، بينما تفصلت الدراسات الفارسية التي كانت لهم سوق نافقة في العصور السابقة في الهند، ولعل السبب ذلك رد فعل عنيف عند المسلمين، إذ حكم الأجنبي الذي بدأ ينشر لغته الإنجليزية، ويرعى اللغة الأردية لأغراضها الإدارية، وإزاء ذلك ازداد تمسك المسلمين باللغة العربية وآدابها، بجانب العلوم الدينية التي أصولها مدونة في هذه اللغة فنبغ في هذا القرن شعراء وأبداء ولغويون[3].

منهم الشيخ فضل بن فضل إمام العمري (1212هـ-1278هـ) الحنفي الخير آبادي من ذرية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، ولد في قرية خير آباد بمديرية سيتا فور في الولاية الشمالية بالهند سنة 1213هـ في أسرة العلم والعلماء، ودرس جميع العلوم على والده الذي كان أحد كبار العلماء المؤلفين في المنطق والفلسفة ودرس علم الحديث على الشيخ عبد القادر بن

---

[1] رجال الفكر والدعوة لأبي الحسن علي الندوي ، تعريب واضح رشيد الندوي، دار القلم ، بيروت، 2003م، 156/5

[2] المصدر السابق ، 158/5

[3] اللغة العربية في الهند عبر العصور، د. خورشيد أشرف إقبال الندوي، ص 107

الشيخ ولي الله الدهلوي، ونبغ في العلوم العقلية من منطق وفلسفة وعلم اللغة، ومعظم انتاجاته باللغة العربية لأنه كانت له مقدرة بالغة فيها وقرض شعرها.

ومنهم الشيخ محمد عابد السندهي (المتوفى سنة 1257هـ) الذي اكن علماً كبيراً له إسهامات غزيرة في الحديث والفقه، ومن مؤلفاته "المواهب اللطيفة على سيد الإمام أبي حنيفة"، و"طوالع الأنوار على الديار المختار" و"شرح تيسير الوصول" وكان له شعر رائق ورقيق في اللغة العربية".

ومنهم الشيخ المفتي صدر الدين بن لطف اله الكشميري ثم الدهلوي (1204هـ-1385هـ) أحد العلماء المشهورين في الهند، وكان رجلاً منقطع النظير وشاعر الفلق، له إلمام عميق في كل فن ونادرة دهره في كل علم، لاسيما الفنون الأدبية، إذا سئل في فن من الفنون، ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله.

ومنهم الشيخ فيض الحسن السهارنفوري (المتوفى 1304هـ) الذي كان من العلماء الممتازين في اللغة العربية وآدابها، ومن أعاجيب الزمان ذكاءاً وفطنة، لم يكن في عصره أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار، وأيام العرب، صرف عمره في الدرس والإفادة، وانتهت إليه رئاسة الفنون الأدبية، له مصنفات جليلة ممتعة، منها: "حاشية على تفسير البيضاوي" وحاشية على تفسير الجلالين، وحاشية على مشكوة المصابيح وشرح بسيط على ديوان الحماسة، وشرح بسيط على المعلقات السبع.

ومنهم الأمير صديق حسن خان القنوجي (1248هـ-1307هـ) الذي فاق الكثيرين في سرعة التأليف وكثرة المؤلفات وضخامة الإنتاج، وكان علماً شامخاً في غزارة العلم وسعة الاطلاع، وكثرة المؤلفات، وكان يمثل مدرسة الحديث في الهند، ونال شهرة واسعة في البلاد العربية لمؤلفاته الدسمة، ولد سنة 1248هـ وشد الرحال إلى مناطق مختلفة لتلقى العلم، ودرس على كبار الأساتذة في عصره، ودرس الحديث على الشيخ ا لكبير القاضي جنيد بن محمد الأنصاري اليماني ببوفاس، ونال الإجازة منه، وكان غزير العلم، واسع الاطلاع، ذكي الفؤاد، قوي الحفظ، سريع القلم، مواظباً على مطالعة الكتب والتأليف، يبلغ عدد مؤلفاته مائتين واثنين وعشرين كتاباً، منها:ستة وخمسون كتاباً باللغة العربية، ومن أهم مؤلفاته كتاب في التفسير باسم "فتح البيان في مقاصد القرآن" في عشر مجلدات كبار، وكتاب أخرى أبجد العلوم في ثلاثة مجلدات في تاريخ العلم والعلماء.

ومنهم الشيخ ذور الفقار علي الديوبندي (المتوفى سنة 1322هـ)وكان ماهراً بالفنون الأدبية، ولد ونشأ بـ"ديوبند" أخذ العلم عن أساتذة عصره وفاق أقرانه في المعاني والبيان والنحو، وقرض الشعر، وتكلف تفتيش المدارس الابتدئية من تلقاء الحكومة ومن مؤلفاته شرح ديوان الحماسة وشرح المتنبي وشرح السبع المعلقات وكان شاعر أوله قصائد في اللغة العربية.

ومنهم الشيخ ظفر الدين بن إمام الدين اللاهوري المولود سنة (1275م) وهو من الأدباء المشهورين، درس وأفاد في المدرسة العالية بلاهور وله مؤلفات عديدة منها: "الباكورة الشهية

في شرح الألفية" و"نيل الأدب من مصادر العرب" وكان أصدر مجلة شهرية في العربية من بلدة لاهور سماها نسيم الصبا وله شعر بالعربية.

ومنهم السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني (1286-1341هـ / 1869-1923م) ولد في زاوية السيد علم الله برائ بريلي، وأخذ العلم عن علماء عصره من العلماء، فحصل له نبوغ وبراع واطلاع واسع، فكان متضلعاً من العلوم راسخ القدم في آداب اللغة العربية والفارسية والأردية، كاتباً مترسلاً سائل القلم في العربية، على كتابته رواء وطلاوة، وفي عبارته عذوبة وملاحة، وهو من الكتاب والمؤلفين المعدودين في العربية الذين نبغوا في الهند، وكان بارعاً في الفقه والتفسير، والحديث، والسير، والتاريخ، ولم يكن له نظير في العلم بأحوال الهند، ورجالها، وحضارتها، وحركة العلم والتأليف في عهد الدولة الإسلامية، وكان عاكفاً على مطالعة الكتب والتصنيف، ولم يزل مشتغلاً بهذا الموضوع إلى آخر يوم من أيام حياته، وكان محمود السيرة، حريصاً على اتباع السنة السنية، نفوراً عن التفاخر والريا، عفيف اللسان واليد، وله مؤلفات دسمة، منها: "الثقافة الإسلامية في الهند" و"الهند في العهد الإسلامي" و"تلخيص الأخبار" وقد ألف كتاباً في تراجم علماء الهند وأعيانها من القرن الإسلامي الأول حين دخلها الإسلام إلى القرن الرابع عشر الذي عاش فيه، وقد نشر هذا الكتاب في سبعة مجلدات، وكان قد كتب بعض التراجم للمجلد الثامن، قدم عليه نجله البار الشيخ أبو الحسن علي الندوي[1].

ومنهم الشيخ عبد الحميد الفراهي، المعروف بحميد الدين الفراهي (1280-1349هـ) وكان من كبار العلماء له خبرة تامة بالعلوم الأدبية، وقدرة كاملة في الإنشاء والترسل، ولد سة 1280هـ وأخذ العلم عن كبار العلماء وتعلم الإنجليزية ونال الفضيلة في العلوم العربية والبلاغة، واسع الاطلاع على الصحف السابقة، يعتقد أن لقرآن الكريم مرتب لبيان، منسق النظام، ويذهب إلى ربط الآيات بعضاه ببعض، وقد بني عليه تفسير نظام القرآن ومؤلفات عديدة، وتأويل القرآن بالقرآن.

ومنهم الشيخ أنور شاه الكشميري (1292-1354هـ / 1857-1924م) الذي تخرج في دار العلوم ديوبند وظل عاكفاً على الدرس والإفادة ومن مؤلفاته فيض الباري في شرح البخاري، في أربعة مجلدات وتعليقات على فتح القدير، وتعليقات على الأشياء والنظائر وتعليقات على صحيح مسلم، ورسائل أخرى في الفقه وأصول الدين، وكان شاعراً أنشد في اللغة العربية.

ومنهم الشيخ العالم والصوفي الكبير مولانا أشرف علي التهانوي (1280-1362هـ / 1864-1943م) وكان من كبار العلماء الربانيين الذين نفع الله بهم وبمؤلفاتهم الأمة الإسلامية، وكان قد رزق من حسن القبول ما لم يرزق غيره من العلماء والمشائخ في العصر الحاضر، وكان مصلحاً كبيراً ومربياً شهيراً في الهند، ولد أشرف علي التهانوي بـ"تهانه بهون" من أعمال مظفر نجر، لخمس خلون من ربيع الآخر سنة 1280م، وقرأ العلوم والفنون عند الشخي رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ يعقوب بن مملوك العلي النانوتي، ثم سافر إلى الحجاز، فصحب الشيخ الكبير

[1] مقدمة الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام لعبد الحي الحسني، أبو الحسن علي الندوي، دار القلم، 2001م ، ص 11

إمداد الله التهانوي في مكة المكرمة المباركة، وأخذ عنه ونال الإجازة والخلافة، وبعد مدة رجع إلى الهند وقام شيخه بأمره، فصار مرجعاً في التربية والإرشاد وإصلاح النفوس، وتزكية الأخلاق، يشد إليه الرحال ويقصده الراغبون في ذلك من أقاصي البلاد وأدانيها، وانتهت إليه الرئاسة في تربية المريدين، وإرشاد الطالبين، ويبلغ عدد مؤلفاته تسع مائة عشرة، ومنها ثلاثة عشر كتاباً بالعربية وقد كان لكتابه بهشتي زيور الذي ألف أصلاً لتعليم البنات رواج وذيوع قلماً بلغه كتاب آخر من الكتب الدينية، وطبع مراراً كثيرة، يصعب إحصاؤها وتردم معاني القرآن الكريم في الأردية وفسرها وسماها "بيان القرآن" لها قبول عام في الأوساط العلمية والدينية، ولقبه العلماء بحكيم الأمة ومجدد الملة، وتوفي الشيخ أشرف علي التهانوي لست عشرة خلون من رجب سنة 1362هـ في "تهانه بهون"[1].

ومنهم الشيخ كرامت حسين (1269-1335هـ) الذي اشتهر بكتابه "فقه اللسان" في ثلاثة مجلدات، وكان ماهراً باللغة الإنجليزية والأردية أيضاً، وإن كتابه "فقه اللسان" يدل على رسوخه في الفلسفة واللغوية وعلم اللغة الاشتقاق.

ومنهم الشيخ عبد الله العمادي (1295-1366هـ) الذي كان مشاهير عصره، درس اللغة العربية والحديث والتفسير، وأخذ المنطق والحكمة في جونفور، ثم ورد لكهنؤ، وتولى إنشاء مجلة "البيان" العربية إلى مدة ثم سافر إلى حيدرآباد، له مؤلفاته العربية معاريف الهند وكتاب الحرية والاستبداد، وكان الشيخ عبد الله العمادي متفنناً في العلوم والآداب، له مشاركة جيدة في الحديث والتفسير والفقه والأصول وعلم الكلام[2].

الأدب العربي في المملكة العربية السعودية:

التعليم هو الهدف الرئيسي من الأهداف التي سعت إليه المملكة وتسعى حتى الآن، وهي تريد أن تجعل التعليم مجاناً لأهل هذه البلاد. وقد أدرك قادة المملكة منذ عهد المؤسس حتى الوقت الحاضر أن تعليم أبناء المملكة وبناتها هو الثروة العظيمة الحقيقية لبناء دولة قوية عصرية. فكثر العلم والأدب ونرى معظم أصناف الأدب في المملكة بما فيها القصة والرواية والمقالة والمسرحية بشيئ ضئيل.

يقسم الأدب السعودي إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: من بدء الدعوة حتى تأسيس المملكة (1157- 1351هـ)، وأسلوب الأدب في هذه المرحلة كان في معظمه أسلوبًا تقريريًا تغلب عليه النزعة العلمية، وفي هذه المرحلة دارت أغراض الأدب في معظمها حول الدعوة الإصلاحية لمحمد بن عبد الوهاب.

المرحلة الثانية: من تأسيس المملكة (1351 -...) حتى أيامنا.

---

[1] موقع الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، انظر الصفحة العربية

[2] اللغة العربية في الهند عبر العصور، د. خورشيد أشرف إقبال الندوي، ص 119

يبدأ تقديم هذه المرحلة بسرد لعوامل ازدهار الأدب الحديث في المملكة العربية السعودية، وهي: التعليم، والمطابع، والمكتبات، ووسائل الإعلام، واتصال الأدباء السعوديين بغيرهم، والنوادي الأدبية. ونتحدث فيما يلي عن النثر والشعر في الأدب السعودي:

كثر من النثر الفني في الأدب السعودي نوعان: فن القصة وفن المقالة. أما فن المسرحية فهو ضئيل. ونلاحظ أن فن المقالة تفوق عند الأدباء السعوديين على فن القصة بأنواعها المختلفةكمًّا وكيفًا.

أولاً : القصة:

القصة في الأدب السعودي بصفة عامة دون تحديد لمختلف أنواعها، وتنقسم مع تاريخ القصة السعودية إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى: من تأسيس المملكة إلى نهاية الحرب العالمية الثانية (1351-1365هـ):

بدأت في هذه المرحلة كتابة القصة القصيرة، وهي قصيرة من حيث الحجم لا من حيث الخصائص الفنية.ويمثّل هذا النوع قصة (رامز) التي كتبها محمد سعيد العامودي ونشرها عام 1355هـ.

- المرحلة الثانية: ما بعد الحرب العالمية الثانية:

هذه المرحلة قد تميزت بعودة الشباب السعوديين الموفدين للتعليم خارج البلاد مزودين بالثقافات المختلفة، كما تميزت بازدياد الصحف والمجلات ووفود الصحف العربية إلى داخل السعودية، وهي حافلة بالأعمال القصصية المتقنة، حامد دمنهوري رائد الفن القصصي الحديث، وإنه يعتمد في أسلوب كتابة روايته على المنولوج الداخلي وهو ما يسمى عند علماء النفس (الاستبطان).

وعن مسيرة القصة القصيرة في الأدب السعودي يشير الباحثون إلى أن الاستقرار السياسي والاقتصادي في المملكة خلال السنوات العشرين الأخيرة قد أدى إلى ظهور قيم حديثة في الأخلاق والحكم والحياة، وكان لا بد من أن يعبر الكتّاب عنها أنفسهم بأقلام جديدة الألوان.. وفي هذا الجو ولدت القصة الفنية السعودية... كذلك تنوعت اتجاهاتها الفنية، فمنها الرومانسي، ومنها الواقعي، ومنها التاريخي، ومنها ما اعتمد على الأسطورة كرمز. ومن نماذج هذه القصص (شبح من فلسطين) لسعد البواردي، و(عروس من القاهرة) لغالب أبي الفرج، والمجموعة القصصية (أرض بلا مطر) لإبراهيم الناصر، ولا شك أن القصة بأنواعها ما زال أمامها مستقبل كبير على أيدي الكتّاب السعوديين المعاصرين، حيث تشهد هذه الأيام إقبالاً لم تشهده من قبل، كما أسهمت المرأة بنصيب وافر في هذا الميدان[1].

ثانيًا: المقالة:

[1] الأدب الحديث: تاريخ ودراسات، د. محمد بن سعد بن حسين، ط 6، دار عبد العزيز بن محمد بن حسين، الرياض، 1418هـ/1997م، ص 179

على غرار تقسيم مراحل القصة يأتي تقسيم المقالة إلى المرحلتين ذاتيهما، وفي حديث الكتاب عن المقالة في المرحلة الأولى، يرد ذكر جريدة القبلة، المتأثرة بأسلوب فؤاد الخطيب والكتاب المصريين والسوريين الذين عملوا فيها، «فكانت المدرسة الأولى التي علمت أبناء الحجاز خاصة والسعوديين عامة الفرالصحيح لأدب المقالة مضمونًا وشكلاً ، ثم رافقتها صحيفة أم القرى»، ثم يورد الكتاب مقالة لفؤاد الخطيب للتمثيل على أسلوب المقالة في تلك المرحلة.

أما المرحلة الثانية فكان للصحف الفضل الكبير على الأدب السعودي عامة والمقالة خاصة، وأما أنواع المقالة السائدة في الأدب السعودي فالمقالة الدينية في رأس القائمة، ثم المقالة الأدبية، فالنقدية، فالاجتماعية، فالسياسية، وأخيرًا الاقتصادية.

حظيت المقالة الأدبية والنقدية باهتمام كبير من كثير من الأدباء، عرضوا خلالها آراءهم حول نظرية الشعر ومفهوم البلاغة، كما تناولوا دور الأدب في بقاء الدولة، وقضية الفصحى والعامية.

أما **الشعر السعودي** فيمكننا أن نحدد موضوعاته في قسمين:

أ- موضوعات تقليدية:

وهي الغزل، والمديح، والرثاء. ويتحدث عن أبرز الشعراء الذين قالوا في هذه الأغراض ويورد بعض أبيات من شعرهم.

ب- موضوعات تجديدية:

- في القضايا الاجتماعية.
- في القضايا الوطنية والسياسية.

وأما الاتجاهات الفنية في الشعر السعودي فهي:

أ- الاتجاه التقليدي:

ويمثّله شعراء برزوا منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري، قويت صلتهم بالتراث، وخضعوا في ذوقهم الفني لذوق الشعر العربي القديم المحافظ على عمود الشعر، ومن شعراء هذا الاتجاه محمد بن عثيمين، وأحمد إبراهيم الغزاوي، وحسين سرحان، رحمهم الله جميعًا، فمحمد بن عثيمين يحاكي أبا تمام في بائيته، وأحمد إبراهيم الغزاوي يحاكي أبا فراس الحمداني وخاصة في روملياته وفي مناجاته للحمام في مجال تذكر الوطن.

ب- الاتجاه التجديدي:

وهو امتداد لمدرسة الإحياء التي ظهرت في الشعر العربي الحديث بريادة محمود سامي البارودي وترعرعت على يدي تلميذيه أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، وقد امتدت إلى شعراء المملكة بكل مؤثراتها. وكان كثير من الشعراء السعوديين على اتصال مباشر بشعراء هذه المدرسة، فكانت تربطهم علاقات تعارف وصداقة، أمثال أحمد قنديل، وحمزة شحاتة، وطاهر زمخشري، وعبد الله بن خميس.

ج- الاتجاه الرومانسي:

ويرتبط ظهور هذا الاتجاه في الأدب السعودي المعاصر بمجموعة من العوامل، كان من أهمها حالة القلق النفسي الذي ينتاب الشباب في عالمنا العربي المعاصر، بسبب بعض الظروف الاقتصادية والاجتماعية، مما دفع بعضهم إلى الانطواء والحزن والشعور بالوحدة وتأمل الذات، وكان تجاوبهم مع تلك المشاعر روحيًا حزينًا، وكان لاطلاع شعراء هذا الاتجاه على نماذج من الشعر العربي لمدرسة المهجر ومدرسة أبولو تأثير في تتبع الشعراء السعوديين شعر هاتين المدرستين، ومن هؤلاء الشعراء: الأمير عبد الله الفيصل، وعبد الله الصالح العثيمين، وحسن عبدالله القرشي، ومحمد حسن عواد، وسعد البواردي، وكثيرون غيرهم.

أما نهج القصيدة في الشعر السعودي فقد حاول المؤلفون من خلالها تقديم فقرة مكثفة تختزل تحولات الشكل في القصيدة العربية خلال مسيرة الأدب السعودي، وما نحب أن نلفت انتباه القارئ إليه هو: أن الشعراء السعوديين المعاصرين لم يلتزموا بصورة القصيدة العربية المألوفة المكونة من أبيات مشطورة إلى شطرين، يقف كل بيت مستقلاً تمام الاستقلال، فلقد تجاوز بعضهم ذلك إلى (الشعر الحر) الذي يعتمد على تعدد القوافي وتنويع الأوزان، وعلى تكرار التفعيلة الواحدة، دون التزام بنظام الأبيات الكاملة المتتابعة، كذلك لم يلتزموا بالقافية الواحدة لكل قصيدة، وهو الالتزام الموجود في القصيدة العربية، وهو النظام الذي يطلق عليه في بعض الأحيان (الشعر المرسل)، والغريب أنه بالرغم من مهاجمة النقاد المحافظين لهذا الشكل الجديد للشعر، فإن كثيرًا من الشعراء السعوديين لم يهتموا بهذا النقد واستمروا في نظم شعرهم بهذا الشكل الجديد[1].

[1] دور المملكة العربية السعودية، في تطوير الأدب، د. محمد أنور حفيظ الندوي، ص 89

الفصل الثالث

حياة أبي تراب الظاهري وآثاره العلمية والأدبية

أ - مولد أبي تراب ونشأته:

اشتهرأبو تراب الظاهري بكنيته ولقبه في الباحة الأدبية والعلمية ،مقتديا في كنيته بالخليفة الراشد علي بن أبي طالب- رضي الله عنه، ومنتسبا في لقبه إلى مذهب الإمام أبي محمد علي بن أحمد الأندلسي المشهور بابن حزم الظاهري (ت456هـ). أما اسمه الحقيقي فبقي مبهما لدى كثير من أرباب العلم والمعرفة والأدب،ووجدت تباينا في اسمه عند المترجمين له، فمنهم من يسميه بـ: عبدالجميل، وآخرون يسمونه بـ: علي. وبعد حصول أبي تراب على الجنسية السعودية عام 1393 هـ استقر اسمه على "عبدالجميل" كما هو مدون في السجلات الحكومية[1] ، واستمر على هذا الاسم حتى عام ١٢٤١هـ حين قام بتغييره إلى: أبو تراب الظاهري بن فجعل اسم الشهرة العلمية بديلا عن اسمه الحقيقي[2]. وقد عرف أبو تراب بثلاث كنى: أبو محمد، وأبو الطاهر، وأبو تراب ، فالأولى: باسم ولده الوحيد "محمد" ، والثانية :كني بهافي أول عمره، ثم اندثرت، وأشهرهن الثالثة التي صارت له اسما فيما بعد[3].

أما نسبه فهو: ابن العلامة المحدث عبد الحق بن عبد الواحد بن محمد بن الهاشم بن بلال الهاشمي العمري، ويتصل نسبه بالخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فهو الجد الخامس والأربعون، وقد صرح أديبنا بهذا النسب مفتخرا، فقال: وأنا من سلالة بني عدي، وهو من ذرية زيد بن عبد الله بن عمر، ارتحل أجداده إلى الهند زمن محمد بن القاسم الثقفي، وانتسابه إلى الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان مصدر اعتزاز وفخر، حتى إنه ذيل بعض مقالاته بهذا الانتساب، فكان يوقعها بهذه العبارة: وكتبه: أبو تراب العمري.

ولد أبو تراب الظاهري في بلدة أحمد بور الشرقية في بلاد الهند (باكستان حاليا) عام 1343هـ[4].

---

[1] دليل الأدباء والكتاب في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، 1422هـ / 2001م

[2] معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية،الدائرة للإعلام المحدودة، ط٢، 1413هـ / 1993م ، ص 49

[3] أبو تراب شيخ علماء اللغة ،عبدالله خياط، جريدة "عكاظ"، العدد 13014 - 1423/2/28هـ

[4] معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية، الدائرة للإعلام المحدودة -.ط٢-. 1413هـ / 1993م ، ص 49

أما نشأة أبي تراب فكانت في بلاد السند في باكستان، فعاش مطلع حياته في قرية تسمى قرية (الشيوخ) وقد اتسم أهلها بالكفاح، وغلبت عليهم حياة البداوة، فاشتغل أبوه وجده برعي الإبل. يقول أبوتراب عن مهنة والده: "وكان أبي من رعاة الإبل، له ناقة سماها "قصواء" تيمنا باسم ناقة النبي – صلى الله عليه وسلم"[1] ثم انجذب والده عبدالحق إلى طلب العلم، والجلوس إلى العلماء ، فنهل من مشارب العلوم المختلفة، ثم تفرغ للخطابة والتصنيف والتدريس ومناظرة أهل البدع، وكان له مجلس عظيم يشهده مئات الطلاب في الجامع العباسي في الهند، ويلقي فيه أربعة عشر درسا في اليوم الواحد من علوم مختلفة[2]. وهكذا ينشأ أديبنا في بيئة بدوية بسيطة ، تزخر بمعالم الكفاح، وتمتلئ بضروب التضحيات، فيشتد عوده، ويقوى على مواجهة أمواج الحياة، ويبقى أثر الإبل غائرا ومؤثرا في نفسه، فالحدة والصرامة والقسوة علامات بارزة في جبين الثروة النقدية والأدبية التي تركها، وأفرزتها نشأته الأولى. ومعلم آخرمهم في نشأة أبي تراب هو:التصاقه بوالده الشيخ عبدالحق؛ إذ نهل من علمه الوفير، وخلقه الرفيع، وقدراته في الجدل والمناظرة، ودقته في التعلم والتعليم، وقد وصف أبو تراب أثر والده بقوله:

"فقد رباني الوالد رحمه الله - على حب العلم والعلماء، وقنية الكتب وإحرازها، والانتهال من حياضها، وكان - رحمه الله - يدرس في الجامع العباسي حين كنت يافعا، وجمهرة من طلبة العلم يحيطون بي، وهويلقي سحابة النهار نحو أربعة عشر درسا في مختلف الفنون، وأمهات الكتب"[3]. وقد آنس الشيخ عبدالحق من ولده فطنة وذكاء، وقدرة هائلة على الحفظ، واندفاعا لطلب العلم، وشغفا به، فكان أن دفع تلك الموهبة ورعاها في بذرتها الأولى حتى استوت على سوقها، فكان يحرص على اصطحابه في أسفاره إذ اشرق أوغرب؛ خشية انقطاعه عن العلم والمذاكرة، إضافة إلى قيامه برسم خطة محكمة لأبي تراب تكفل تنوع مشار به العلمية ،وشمولية قراءاته، والتدرج في البدء بالأولويات، ثم إدراك ما عداها.

وإذا كان المنحى العلمي ظاهرا في نشأة أبي تراب فإن هناك منحى آخر لا يقل أهمية عما سبقه في صناعة هذه الشخصية، والتأثير فيها وهو: التربية الدينية العميقة التي تقلب فيها أديبنا في نشأته الأولى، إذ كان يضمه بيت إيماني وصفه بقوله: "نشأت في كنف أمي، وأبي، وجدتي لأمي، وجدي لأبي، وجدي لأمي، وكانوا أهل صلاح وتقوى، صوامين قوامين، تلائين للقرآن يعيشون من كسب أيديهم." [4]

---

[1] كبوات اليراع، أبوتراب الظاهري-.ط١-.جدة :دارالبلاد للطباعة والنشر،1420هـ/1982م، ص 44

[2] الإثنينية: 2 /318، ومعجم المطبوعات العربية ، علي جواد الطاهر : 1 /36، ومقالة "رحيل أبي تراب الظاهري"، جريدة الوطن، العدد 583 (1423/22هـ).

[3] نفس المصدر السابق

[4] مقابلة أجريت معه في جريدة "الجزيرة" ، العدد 5048 ، يوم الجمعة 1406/11/18هـ، 25 يوليو 1986م ، ص 17

وقد وصف أديبنا نشأته الإيمانية في آخر عمره شعرا، فقال :

نشأت ببيت شاع عنه صلاحه وكان أبي في العلم كالأنف

تقي نقي زاهد متورع محب لخير الخلق قامع

ولا غرو أن يكون للحياة العلمية، والتربية الإيمانية أثرها الناصع في طوره الأول، فنشأ مشتغلا بما يشتغل به أصحاب الهمم العالية ، نابذا ما يميل إليه أبناء عمره، فكان من عجائبه أن ألف رسالة "الإمداد بصناعة المداد" وهو لم يبلغ الحلم [1]، وحكى لنا معالم جده التي تدثرت بها أيامه الأولى قائلا: "وكنت لا أميل بطبعي منذ الصغر إلى ما يميل إليه الصبيان من اللعب واللهو، غير أني كنت أبري السهام، وأوتر الأقواس، وأجيد ضرب المقاليع، ولما راهقت الحلم حبب إلي الخلاء، وكنت أنقطع في مسجد ناء عن البلد للتعبد، وأستعين على ما يلوب بخواطر الشباب بالصيام، ورياضة النفس، وربما تنزهت في مونق البساتين، وخضر المروج ؛ للتفكر والتأمل والاكتساب الروحي." [2]

إن هذه النشأة التي ارتبطت بمنابع العلم، والتعلق بالعبادة ، واتسمت بالجد والمثابرة تؤذن بإشراقة عظيمة لعالم جليل من طراز موسوعي فريد لا يتكرر في حقب التاريخ كثيرا.

ب - رحلاته:

تعد الرحلات ينبوعا من ينابيع المعرفة، وبوابة لتوسيع المدارك، وزيادة التجارب، وقديما قالت العرب: "المسافر يسمع العجائب، ويكسب التجارب، ويجلب المكاسب".

وقد كان هذا المنبع الثر حاضرا في حياة أبي تراب الذي طوف بلدان العالم منذ اليفاعة؛ بحثا عن معالم العلم والمعرفة، فكانت أسفاره مليئة بالسماع من العلماء، أوالانهماك في نسخ مخطوطات نادرة، أودوام مطالعة في مكتبات قد تحوي كتبا لم يطلع عليها. يقول الشيخ عبد الله بن محمد الشمراني - أحد تلاميذ أبي تراب: "كان لشيخنا الكثير من الرحلات الحافلة بالقصص، والطرائف العلمية، واستفاد من خلال رحلاته الكثير من الفوائد، كمقابلة العلماء والمفكرين والأدباء، كما نسخ خلال رحلاته الكثير من الكتب الخطية ، سواء أكان النسخ له، أو بطلب من أبيه، كما استفاد من مطالعة الكتب الخطية، ولاسيما المطولات، ومن

[1] من مقالة "هكذا بدأت" ، جريدة "البلاد" ، العدد 194، 1429/11هـ

[2] المصدر السابق

ذلك مطالعته كتابي ابن عبد البر - رحمهالله - "التمهيد" و"الاستذكار" قبل أن يراهما عالم المطبوعات" [1]. ومن أبرز رحلاته :

1 - رحلته إلى المملكة العربية السعودية:

وارتبطت هذه الرحلة بانتقاله مع والده من بلاد السند إلى الحجاز عام1367 هـ ، وكان عمره آنذاك أربعة وعشرينعاما، إذ كانالشيخ عبدالحق – والد أبي تراب – يتردد إلى الحجازمنذ زمن قديم، وقدذاع صيته العلمي ،وعرف بحفظه المتقن ، وفي إحدى حجاته نشرت صحيفة البلاد السعودية خبرا في عمود "قدوم كبار الحجاج" يشير إلى قدوم الشيخ عبد الحق الهاشمي - شارح مسند الإمام أحمد بن حنبل - ولفت هذا الخبر مسؤولي الدولة، ومنهم معالي الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، الذي بادر بدعوته؛ ليكون ضيفا في مجلس الملك عبد العزيز فكانت الفرصة مواتية للشيخ عبد الحق أن يعرض على الملك رغبته الملحة في مزاولة التدريس في المسجد الحرام، فلبى الملك رغبته على الفور، فأكمل حجته في تلك السنة ، ثم رجع إلى بلاده؛ لتسوية أموره، وتهيئة أهله للانتقال إلى الحجاز، أما أبو تراب فقد تأخرقليلا؛ لحمل مكتبة والده الضخمة إلى مكة[2]. فانتقل أبو تراب وأسرته إلى الحجاز وأقاموا بها.

كانت تلك هي قصة الرحلة الأولى لأبي تراب التي فتحت له أفقا جديدا لمزيد من الاستقرار الذهني والاجتماعي الذي ساد الحجاز، فكان لذلك أثره الكبير في زيادة التحصيل العلمي والمعرفي له في أجواء الحرمالمكي الشريف، وبين حلقات العلم المنتشرة في أرجاء المسجد الحرام ، إضافة إلى إفادته من مكتبة الحرم التي كان يقضي فيها وقتا طويلا.

2 - رحلته إلى مصر:

تعاقبت رحلات أبي تراب إلى هذا البلد، بهدف تحصيل العلم، والاطلاع على خزائن الكتب، وشراء الجديد منها، وقد حمل في رحلته الأولى توصية خطية من أبيه إلى محدث الديار المصرية في زمنه العلامة أحمد ابن محمد شاكر - يرحمهالله - وكانت بينالشيخين علاقة وثيقة دفعت الأخير إلى الاعتناء الكبير بأبي تراب ،فاستضافه في منزله، كماكسب علاقات برواد مجلسه من أعيان العلم والفكرفي مصر، كالشيخ حامد الفقي، ومحمود شاكر، وأحمد أمين وغيرهم[3].

---

[1] من مقالة " إنا على فراقك لمحزونون"، جريدة "الجزيرة"

[2] الإثنينية ، ج 2، ص 387-388

[3] من مقالة "هكذا بدأت"، جريدة "البلاد" وانظر: دليل الأدباء والكتاب في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، ص 125، ومقالة "ورحل صاحب شواهد القرآن "، عبد الله بن محمد الحميد، مجلة الأربعاء ، العدد 14266، ربيع الأول 1423هـ، ص 17

ثم توالت رحلات أبي تراب إلى تلك البلاد لغاية لا تعدو الغاية العلمية والمعرفية، فكان منها: رحلته من أجل الحصول على درجة "الدكتوراة" التي نالها من جامعة الأزهرفي تخصص الدراسات الإسلامية، ورحلته التي صاحب فيها الأمير تركي بنعبد العزيز آل سعود عام 1406هـ من أجل انتقاء الكتب من معرض الكتاب المقام في القاهرة، إلىغيرذلك منالرحلات المتوالية لهذا البلد الذي انجذب إليه أديبنا؛ لارتباطه ببعض الذكريات الدراسية والعلمية [1].

3 - رحلته إلى اليمن:

رحل أبوتراب إلى اليمن بعد رحلته الأولى إلى مصر، وكان غرضه من رحلته السماع من علماء تلك البلاد، فسمع من الشيخ عبدالواسع الواسعي، والشيخ محمد زبارة - وزيرالمعارف في ذلك الوقت - والشيخ يحيى الزماري ، وغيرهم من علماء اليمن[2].

4- رحلته إلى المغرب:

وبقيت الغاية العلمية حاضرة في جل أسفار أبي تراب ، إذكانت رحلته إلى المغرب مليئة بالسماع من علمائها، والاطلاع على مكتباتها، فقد حل ضيفا على الشيخ منتصر الكتاني، وقابل المحدث الأصولي عبد الله بن الصديق الغماري ، وغيرهم[3] .

ج – تحصيله العلمي:

سبق الحديث عن نشأة أبي تراب التي كان من أبرزمعالمها: الصبغة العلمية التي رسمها والده له في مقتبل عمره، فكان أثرها ساريا في حياته، وقد كانت سمة الموسوعية معلما بارزا لهذه الشخصية، وملحظا مثيرا لكل من جالسه، أو اقترب منه، ومنهؤلاء الأديب محمدحسنعواد الذي قال في لحظة انبهار وإعجاب: "أبو تراب الظاهري أستاذ مستطيل ، عالم من طراز قديم، أعني : أنه من طراز موسوعي ، ولكنه لم يرد له التخصص، أو الأسلوب المنهجي، إنه أسلوب "الاغتراف" المطلق، فهو عالم في اللغة، وعالم في العروض، وعالم في الفقه، وهو عالم في سير الفقهاء وتراجمهم ، وبكلمة : هو رجل مطلع دارس من طراز الفقيه ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد، وهو - وعلىهذه الطريقة نفسها- شاعركلاسيكي[4]. "

ولعل من المناسب أن نبحث عن منابع تلك الحصيلة العلمية، وأبرز الطرائق التي ولدت لنا هذه الموسوعية، ومنها:

---

[1] انظر : مقالة "أبو تراب شيخ علماء اللغة" ، جريدة "عكاظ"

[2] انظر : مقالة " إناعلى فراقك لمحزونون" ، جريدة "الجزيرة".

[3] مقابلة أجريت معه في جريدة عكاظ، العدد 7134، الاثنين 1406/4/18 هـ - ديسمبر 1985 م .

[4] جريدة "البلاد" ، العدد 1635، 1384/2/11 هـ

1- طريقة التلقي من العلماء في الحلقات:

يعد المحدث الشيخ عبد الحق الهاشمي - والد أبي تراب - أول مشايخه الذين لازمهم،وأفاد منهم، وكانت له طريقتان في التعليم استخدمهما مع ابنه :

أ- طريقة السرد التي يستمع المعلم فيها لقراءة الطالب ، ثم يعلق على ما أشكل عليه.

ب- طريقة القراءة والمناقشة ، إذ يقرأ الطالب جزءا من المتن، ثم يشرح الشيخ ذاك الجزء، ويترك مجالا للمناقشة والاعتراض.

ومن أبرز ما قرأه على والده في علم التفسير: "تفسير الجلالين"، و"تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، وأجزاء من "تفسير الإمام الطبري"، والجزء الأول من "مفاتيح الغيب" للرازي، و"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي . أما في علم الحديث: فقرأ عليه كتاب "بلوغ المرام" لابن حجر، و"سنن ابن ماجة " و"صحيح البخاري" و"سنن الترمذي" و"سنن النسائي" و"سنن أبي داود" و"مسلم"، وسرد على أبيه "المسند" للإمام أحمد بن حنبل، و"السنن الكبرى" للبيهقي، و"المنتقى" لابن الجارود، و"المستدرك" للحاكم، و"السنن" للدارقطني وغيرها. وفي مصطلح الحديث: قرأ عليه "النخبة " و"ألفية العراقي" للسيوطي، وشرحها، و"البيقونية"، و"مقدمة ابنالصلاح"، و"رسائل الخطيب البغدادي" في الأصول وغيرها. وفي اللغة : قرأ "الكافية " لابن الحاجب، و"فقه اللغة " للثعالبي ، و"شرح الرضي على الشافية"، و"شرح الأشموني على الألفية"، و"الصحاح" للجوهري، وجزءا من شرح "كتاب سيبويه" للسيرافي، كماقرأ عليه كما كبيرا من الدواوين والكتب الأدبية كان منها: ديوان المتنبي ، وديوان حسان بن ثابت، وديوان أبي العتاهية، وحماسة أبي تمام، ومقامات الحريري والهمذاني، و"أدب الكاتب" لابنقتيبة، و"الأمالي" لأبي علي القالي ، و"البيان والتبيين" للجاحظ، و"الكامل" للمبرد وغيرها.

إن التصاق أديبنا بأبيه العالم الموسوعي، أثمر نسخة أخرى لعالم موسوعي نهم في العلم والمعرفة، إلا أن أبا تراب انجذب إلى علوم اللغة، وأحب الأدب، فكان إليهما أقرب، وإلى أعلامها ألصق. ويبقى لأبي تراب مشايخ آخرون تلقى منهم العلوم المختلفة في بلدان العالم التي طوف فيها، فمن مشايخه في الهند الشيخ عبدالله الروبري ، والآمر التستري، وعبد التواب الملتاني، وفي مصر الشيخ العلامة أحمد بن محمد شاكر ، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة. كما التقى الشيخ حامد الفقي، وحسنين مخلوف، ومحمد علي النجار، وأحمد حسن الباقوري، وغيرهم . وفي رحلته إلى اليمن أجيزفي جامع صنعاء من الشيخ محمد بن أحمد زبارة كما اتصل في الحجاز بالشيخ عبدالرحمن المعلمي الذي أخذ عنه علم الميراث، والشيخ محمد أمين كتبي ، إضافة إلى سماعه من بعض علماء المغرب، كالحافظ عبد الحي الكتاني، والشيخ منتصر الكتاني. كما كان يغشى مجالس الأدباء والمفكرين، ويسمع منهم، ويجد فرصة

لمحاورتهم، ومناقشتهم، ومخاصمتهم أحيانا، ومن تلك المجالس: مجلس الدكاترة زكي مبارك، وأحمد أمين[1].

2- الدراسة النظامية:

لم تكن الدراسة النظامية لتروي عطش أبي تراب من فنون العلم المختلفة؛ إذ كانت غايته منها الحصول على مؤهل علمي يعينه على اكتساب المعيشة، ومواجهة الظروف الاجتماعية الصعبة التي مر بها، وقد صرح في أكثر من مناسبة بأنه اضطر إلى الدراسة النظامية؛ طلبا للمعيشة التي تمثل الشهادات العلمية عمودها الأهم في هذا العصر.

ومن أبرز محطات دراسته النظامية التحاقه بكلية الشريعة في الجامعة العباسية بعد أن اجتاز اختبار مديرها، فمنح شهادة تؤهله للانضمام باشرة، وفيها حصل على شهادة في الدراسات الإسلامية، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة "رفيق العلماء " بـ"هادبور "في باكستان، التي سميت بعد ذلك بـ"مدرسة الفاضل" وحصل فيها على شهادة تعادل الشهادة الجامعية عام 1939م.

وواصل الشيخ دراسته النظامية حين التحق بمدرسة "رياض‌العلوم" التابعة لجامعة "دلهي" رغبة في نيل شهادة عليا في دراسته، فنال مراده، وحصل على درجة "فاضل" وقدمها الشيخ بعد ذلك إلى جامعة الأزهر في مصر. ثم حصل في أخريات حياته على درجة الدكتوراة من جامعة الأزهرفي تخصص الدراسات الإسلامية.

وبهذا الجهد يحصل أديبنا على درجة علمية عالية في سلم الدراسات النظامية ، وهذا - بلاشك - ينبئ عن همة عالية في التحصيل العلمي، وطموح شامخ في ميدان المعرفة والفكر، وهو يكشف من جهة أخرى عن روح التحدي والمثابرة التي دفعته إلى نيل الشهادات العلمية العالية التي تنافس فيها أبناء عصره، وأصبحت أداة مهمة من أدوات مثقفي العصر الحديث[2].

3- القراءة والتثقيف الذاتي:

انكب أبوتراب على تثقيف نفسه منذ نشأته حتى مماته، وامتزج هذا التثقيف الذاتي برغبة جامحة انغرست في نفسه تجاه العلم وأهله غرسها والده منذ الصغر، إضافة إلى ما وهبه الله

---

[1] مقتبس من الإثنينية، ج 2، ص 380 – 398 ومقابلة أجريت معه في جريدة عكاظ، العدد 7134، الاثنين 1406/4/18 هـ - ديسمبر 1985 م ، وجريدة اليمامة و جريدة ''البلاد'' السعودية ، 28 /1/ 1381هـ

[2] مقابلة أجريت معه في جريدة ''الجزيرة'' ، العدد 5048 ، يوم الجمعة 1406/11/18هـ، 25 يوليو 1986م ، ص 34

من قدرات فطرية على الحفظ والفهم، والاستيعاب السريع جعلت منه وعاء جامعا للعلم حتى عرف عنه أنه كان يحفظ زهاء أربعين ألف مادة لغوية من القاموس المحيط، وخمسين ألف حديث نبوي، وعشرة آلاف بيت شعري.

لقد أمضى أبو تراب جل وقته في تحصيل العلم، وملاحقة الكتب، حتى إنه أمضى أيام شبابه في القاهرة منكبا على القراءة ، يقضي سحابة نهاره في دورالكتب وخزائنها يستخرج اللآلئ، وينقب عن الأصداف ؛ ليحرز النفائس.

ومنالأمور اللافتة للنظرفي حياة أبي تراب العلمية أنه كان من المولعين بنسخ الكتب النادرة. وولعه بالنسخ دليل همة عالية، وصبر عظيم على تحصيل العلم، وحرص على إضافة النادر المهم إلى مكتبته، وفي سبيل هذه المهمة الشاقة كان يقضي ليله في صحن الطواف في المسجد الحرام لينسخ كتابا نادرا.

وولعه الشديد بالقراءة دفعه أن يقضي سحابة يومه في مكتبة الحرم المكي الشريف، ويتذاكر العلوم المختلفة مع روادها من العلماء،وأساتذةكلية الشريعة.

أما مكتبته في مدينة جدة (كانت مكتبة أبي تراب في شقته التي يسكن فيها على طريق المدينة المنورة في محافظة جدة) فقد امتلأت بنفائس الكتب، ونوادر المخطوطات في شتى العلوم والفنون، ومكتبته كانت تضم أكثر من عشرة آلاف كتاب.

إن هذه المكتبة الضخمة قد حظيت بمكانة عظيمة في قلب أبي تراب، حتى ضمن وصيته طلبابإغلاق الأبواب في وجه المعزين؛ ذلك أنهم لم يحضروا لتقديم العزاء، وإنما تهافتوا للسطو على محتويات مكتبته العظيمة .

ولا ريب أن هذه المكتبة أسهمت إسهاما كبيرا في صناعة موسوعيته، إذ كان يمكث فيها جل وقته، ويجد للقراءة في جنباتها لذة لا يحسها إلا أصحاب الهمم الرفيعة ، حتى زاد عدد الكتب التي قرأها عن ثمانية آلاف كتاب من فنون مختلفة كان نصيب كتب الأدب منها وفيرا[1].

4- العزلة وانتقاء الأصحاب:

أبو تراب كان يعيش وحيدا إلا من الكتب، والحفظ، والتأليف، والمراجعة، فكانت عزلته فتيلا لزيادة علمه وثقافته، بل وجد فيها وسيلة من وسائل الترفيه، والتسلية، فالعزلة تتيح له فرصة الاطلاع والقراءة في شتى التخصصات، فيستلذ بهذا التنقل، ويستمتع بهذه السياحة .

[1] مقابلة أجريت معه في جريدة "الجزيرة" ، العدد 5048 ، يوم الجمعة 1406/11/18هـ، 25 يوليو 1986م ، ص 34

ومن أسباب عزلته التي عاشها في بعض سني حياته: حدته وصراحته في النقد التي أفضت ببعض معاصريه أن يتحاشوه، ويهابوا من نقده الجريء، وقلمه السليط، وهذه السمة اعترف بها كثير من الكتاب. وقد أتاحت هذه السمة لبعض معاصريه أن يرموه بالكبر والتعالي، وأن يتهموه بحب الشهرة، والرغبة في الظهور، والاستمتاع في استعراض مالديه من قدرات.

ولا تعني العزلة التي قضاها في بعض سني عمره أنه كان خلوا من الأصحاب والأصدقاء، وإنما كان له أصحاب وافقوه في همته العالية، وتوجهه العلمي، فكان يجد في مجالستهم أنسا وعلما، ومدارسة لبعض قضاياالعلم والأدب، فتمتد مجالسهم ساعات طوالا وهم غارقون في النقاش والاحتجاج، ومن أبرز أصدقائه: الشيخ عبدالقدوس الأنصاري، والشاعر أحمد الغزاوي، والشاعر طاهر زمخشري، والشاعر محمد حسن فقي ، الأديب محمد حسين زيدان[1].

د- أشغاله وأعماله:

تقف ظروف الحياة، وقلة ذات اليد خلف بحث الإنسان عن حرفة يمتهنها؛ لمواجهة ظروف الحياة المتقلبة، وقدكانت الظروف المادية الصعبة تحيط بأبي تراب من كل جهة؛ إذ عاش في أسرة متوسطة الحال، فوالده اعتمد على مهنة الرعي والزراعة، وبعد انتقاله إلى مكة اشتغل بالتدريس في الحرم المكي، وكانت تخصص له مكافأة شهرية من الدولة تنتظرها أسرة كبيرة مكونة من ستة أبناء، وثلاث بنات، إضافة إلى تعاقب الضيوف وطلاب العلم على بيته من بلاد الهند وغيرهامن البلدان الإسلامية، فكانت ضيافتهم تستحوذ على جزء كبيرمن مكافأته. كما أن دراسة أبي تراب، ونهمه العلمي، وولعه بشراء الكتب يلزمه مال وفير جعل ظروفه المادية تزداد تعقيدا.

ومن الملاحظ أن النزعة العلمية الغالبة على شخصية أديبنا كانت تلاحقه حتى في أعماله التي تقلب فيها؛ حيث كانت وثيقة الصلة بالعلم والمعرفة، وفيما يأتي ذكر لأبرز أعماله:

1 - عمل مدرسا في الهند بعد حصوله على شهادة في الدراسات الإسلامية، وقام بتدريس المرحلة الابتدائية، ثم رقي إلى تدريساللغة العربية في كلية العلماء في الهند .

2 - وبعد انتقاله إلى الحجاز عمل مدرسا في المسجد الحرام، ومكث ثماني سنوات درس فيها علم الحديث والفقه والنحو والصرف وغيرها منالعلوم.

---

[1] الإثنينية ، ج 2، ص 380 – 398

3 - وفي أثناء عمله مدرسا في الحرم المكي الشريف اتصل به أحد منسوبي صحيفة البلاد السعودية، وطلب منه التعاون مع الصحيفة في وقت المساء - وكانت الصحيفة تطبع آنذاك في حي "الشامية " في مكة المكرمة - فوافق أبو تراب على طلبه، فكان يجمع بين عملين : التدريس في الحرم المكي ، ومهنة التصحيح في صحيفة البلاد السعودية .

4 - كماعمل متعاونا مع مصلحة فكانت مهمته حصر المستحقين للصدقات .

5 - وبعد أن ترك التدريس في الحرم المكي عمل مفهرسا للكتب في مكتبة الحرم المكي الشريف عام 1369هـ أيام الشيخ عبد الله كتبي ، وأحمد بن عبد الله دحلان، واشتغل في تلك المدة بنسخ الكتب والمخطوطات، وكان يقضي وقتا طويلا في المكتبة ، حتى إنه اتفق مع أمينها أن يقفل عليه الباب وقتالظهيرة ؛ للاستفادة مما تحويه المكتبة.

6 - كما زاول التدريس في المدرسة " الفاخرية " ثم في "دارالحديث" في مكة المكرمة .

7 - ثم انتقل بعدذلك إلىمدينة جدة، وعين رئيسا لقسم التصحيح في صحيفة البلاد اليومية، إضافة إلى عمله في المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر، ثم تنقل في الإذاعة بين أقسام متعددة.

8 - أماآخر أعماله الحكومية فهي عمله مستشارا دينيا ولغويا في وزارة الإعلام ، وقد استمرفي هذا العمل حتى وافته المنية[1].

كما أن تأليف الكتب، وتحبير المقالات في الصحف والمجلات، والبرامج الإذاعية المختلفة كانت من أعماله الباقية ، الناطقة بشي ء من علمه وأدبه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الظروف المادية الصعبة التي واجهت أديبنا كانت محط اهتمام وتقديرمن رجالالدولة، إذ كان للملك خالد بنعبدالعزيز، وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز أعطيات سنوية للشيخ.

ويتبين لي بعد هذا العرض أن الأعمال التي زاولها الشيخ كانت تأرز إلى العلم والمعرفة ، وتفصح عنعزوف واضح عن اللهث وراء الماديات، وابتغاء المناصب، والبحث عن أبراج الشهرة، وكان يرى وظيفته في الحياة تكمن في تحصيل العلم، وإفادة الأمة، والذود عن لغتها، ومحاربة ما يمس حماها، ويخدش جمالها.

[1] معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية، الدائرة للإعلام المحدودة ، ط٢-. 1413هـ / 1993م ،ص 54

هـ - وفاته:

توالت الأمراض المختلفة على أبي تراب في أخريات حياته، فأصيب بمرض النقرس الذي أعاقه عن الحركة، وحبسه عن الخروج من مكتبته، وحرمه من التنقيب عن كتبه، وأجريت له قبيل وفاته عملية جراحية في العين، وكان دائم الشكوى من آلام الركبتين والمفاصل.

وفي صبيحة يوم السبت الحادي والعشرين من شهر صفر عام ١٣٢٤١هـ توفي أبو تراب بين أوراقه وكتبه في مكتبته في مدينة جدة عن عمر يناهز ثمانين عاما، ونقل جثمانه إلى مكة المكرمة ،وصلي عليه بعدفجر يوم الأحد في المسجد الحرام، ودفن في مقبرة "المعلاة" في مكة وشيعت جنازته جموع غفيرة من محبيه وأقاربه وتلاميذه، وكانت وفاته جرحا غائرا في نفوس العلماء والأدباء والمفكرين، وظهر صدى ذلك الأثر جليا في الصحف والمجلات التي استطلعت أثر وفاته في الباحة العلمية والأدبية، وقامت بنشر سيرته الذاتية، وأبرز أعماله ، وآثاره[1].

و – آثاره العلمية والأدبية:

وقفت آثار أبي تراب الظاهري شاهدةً على موسوعيته، وبرهانا ساطعا على تنوع معارفه، وعُمق ثقافته، وفيها نقرأُ شخصية أدبية ذات منهجٍ أدبي متميز، يعكس فيها الفكر العلمية بأسلوب أدبي له ديباجة خاصة .

ولم تكن الآثار المؤلَّفَة هي التركة الوحيدة لأبي تراب، بل ورث لنا مشاركات متميزة في الصحافة والإعلام، وأسهم في إلقاء المحاضرات والندوات المتنوعة في الأندية الأدبية ، والجامعات السعودية، ويمكن أن نستجلي تلك الآثار فيما يلي.

ارتبط أبو تراب بالتأليف منذ زمنٍ مبكرٍ في حياته ؛ إذ ألف رسالتين وهو لم يبلغ الحلم وعنوان الأولى: الإمداد في صناعة المداد والأخرى بعنوان: الرَّزَغة في قتل الوَزَغَة ومن ثمَّ توالت مؤلفاته الكثيرة في الأدب واللغة والحديث والفقه والسيرة النبوية، وغيرها من المؤلفات التي طبع جزءٌ منها، وبقي آخرُ لم يرَ النور ، واجتهتُ في الحصول على تلك المؤلفات المطبوعة والمخطوط مما ذكر فيما كتب حوله من المقالات :

[1] معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية،الدائرة للإعلام المحدودة ، ط٢، 1413هـ / 1993م ،ص 57

أ - الكتب المطبوعة:

1 - الأثر المقتفى لقصة هجرة المصطفى

يقع هذا الكتاب في 163 صفحة من القطع المتوسط ، وطبع في دار القبلة للثقافة الإسلامية عام 1404هـ / 1984م ، وضمَّنه نصوصا تروى في قصة هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - استقاها من كتب الحديث المشهورة، كصحيح البخاري وشروحه المعتبرة كفتح الباري لابن حجر العسقلاني، واعتمد كذلك على كتب السيرة والتاريخ المشهورة كسيرة ابن إسحاق، وتاريخ الطبري، وابن كثير وغيرها، ووجه جل عنايته إلى تخريج تلك الروايات، والتعليق عليها، وترجيح أَثْبَتِهَا؛ لأجل تمييز الثابت من الضعيف، ومن أبرز الموضوعات التي تناولهافي كتابه : ساعة الخروج ، وقصة سراقة، والطريق إلى المدينة، وبناء المسجد الشريف، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار[1].

2- أصحاب الصفة:

قيَّد أبو تراب في هذا المؤَّلف تراجم أصحاب الصفة - رضي الله عنهم - وهم الذين كانوا يجاورون بيت المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ويكونون على دكة من المسجد يتدارسون القرآن، ويتفقهون في الدين، ويأتيهم رزقهم مما تجود به جعاب الناس من تمرٍ أو إقطٍ، ويشاركون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في زاده، ويَكْثُرون فربما بلغوا أكثر من بعين، ويقِّلون إلى أن يكونوا نحوً من ثلاثين. وقد ترجم المؤلف ترجمة موجزة لأربعة وتسعين صحابيا من أهل الصفة ، جُلُّهم من غير المشهورين، فجَمع تراجمهم من شوارد الكتب وبطونها، فكوَّن بذلك كتابا نفيسا في بابه، بلغت صفحاته ٢١١ صفحة من القطع الصغير ، وطُبِعَ في دار القبلة للثقافة والنشر عام 1404 هـ/ 1984 م[2].

3 – إعلام أهل الحاضر برجال من الماضي الغابر:

اتَّجه أبو تراب في هذا الكتاب إلى التعريف بجمهرة من رجال العلم والأدب في العصور القديمة غير متقيد بعصرٍ معين، أو طبقة محددة ، فَعمَد إلى التعريف بستة وثلاثين علما يُترجِمُ لكل واحدٍ منهم ترجمة موجزةً ؛ مريدً بهذا العمل تعريف أبناء جيله بنماذج ممن يُقتدى بهم في ميدان العلم والمعرفة .

---

[1] الأثر المقتفى لقصة هجرة المصطفى ، أبو تراب الظاهري -. ط 1 - دار القبلة للثقافة الإسلامية ، 1404هـ/1984م ، ص 5.

[2] أصحاب الصفة، أبو تراب الظاهري ، ط 1 ، دار القبلة للثقافة والنشر ، 1404هـ/1984م ، ص 7

والكتاب يقع في مئتين وتسع وسبعين صفحة ، وهو من مطبوعات دار القبلة للثقافة الإسلامية عام 1405هـ/ 1985م ، ومن أبرز من ترجم لهم في هذا الكتاب: التفتازاني ، والطبري، والإمام أحمد بن حنبل ، وابن الجوزي ، وابن حزم، والجرجاني ، ويحيى بن أكثم، وابن خلكان، والعكبَري، وابن قتيبة ، وغيرهم[1].

4 – أوهام الكتاب:

تبلغ صفحات هذا الكتاب 334 صفحة ، وهو من منشورات النادي الأدبي الثقافي في محافظة جدة ، وطُبِعَ في مطابع البلاد عام 1403هـ/ 1982م ، والكتاب عبارة عن تسع وسبعين مقالة تَعقَّبَ فيها أوهام عدد من معاصريه من الأدباء والشعراء والمحققين، وقد أورد في مقدمة كتابه سبب كتابة تلك المقالات، وأبان عن المنهج الذي اختطه في كتابتها، فقال: "وإنماوضعناه لبيان الوهم حيثما وقع فيه صاحبه، ثم عضدناه بالأدلة والنصوص والإحالة إلى المراجع ، والإشارة إلى عزوها بالأرقام لعل في ذلك إفادةً لمن يطلع عليه، فيحتاط من الهُويِّ إلى المزالق"[2]. وممن طالهم التعقب في هذا الكتاب : الشيخ أحمد شاكر، والشيخ محمود شاكر، والشيخ حمد الجاسر، وشاعر الحجاز أحمد الغزاوي، والناقد الدكتور إحسان عباس ، والبحّاثة ناصر الدين الأسد، وغيرهم .

ومع أن تلك المقالات ركّزت على تقويم الأوهام إلا أني وجدت في عددٍ منها أسلوبا أدبيا رفيعا، استطاع من خلاله أن يكسو الفكرة العلمية بأسلوب أدبي رفيع[3] .

5 – التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة (بالاشتراك):

اشترك مع الشيخ أبي تراب في تأليف هذا الكتاب الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري، والأستاذ عبدالفتاح أبو مدين، وتبلغ صفحات الكتاب 138 صفحة من القطع الصغير ، وطُبِعَ في مطابع الأصفهاني عام 1385هـ، وقد عالج الكتاب مسألة علمية دار النقاش حولها على صفحات الصحف آنذاك ، وهي مسألة "ضم جيم جدة " مابين رأيٍ يُلزم جيمها الضمَّ ورأيٍ آخر يُجيز تثليثها، فكان لأديبنا صولات وجولات في تلك المسألة؛ حيث كتب عداً من المقالات في صحيفة البلاد شهري رجب وشعبان عام 1385 هـ، وناقش قضية ضم الجيم نقاشا علميا مُستفيضا في

[1] إعلام أهل الحاضر برجال من الماضي الغابر، أبو تراب الظاهري، ط 1، دار القبلة للثقافة والنشر ، 1405هـ/1985م ، ص 3

[2] أوهام الكتاب، أبو تراب الظاهري، ط 1 ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة، دار البلاد للطباعة والنشر، 1403هـ/ 1982م ، ص 9

[3] نفس المصدر السابق، ص 9

زاويته الموسومة بـ "موزونٍ ومخزون " وبعد إعادة تنسيق ماكتبه قام بإخراجه مع الأستاذين الفاضلين في هذا الكتيب ، فكان الجزء الثالث مخصصا لبحث أبي تراب ، وقد بلغت صفحاته تسعا وأربعين صفحة [1] .

6 – الحديث والمحدثون :

أصل هذا الكتاب محاضرة ألقاها أبو تراب في النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة عام 1409هـ، وقام النادي بنشرها مع محاضراتٍ خر في الجزء الأول من سلسلة محاضرات النادي المطبوعة في عام 1410هـ. واهتم المؤلف بالتعريف المُبسَّط بمصطلحات الحديث، وتأريخ تدوين السنة ، وأهميتها، وأبرز المؤلفات فيها، وبيان ميزة كل مؤلَّف ، وقام بتفسير بعض المصطلحات المتواتر ذكرها في كتب الحديث[2].

7- ذهول العقول بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم:

يقع هذا الكتاب في 185 صفحة، وطُبع في دار القبلة للثقافة الإسلامية عام ٤٠٤١هـ/٤٨٩١م ، وكانت الغاية من تأليف هذا الكتاب أن يجمع الروايات المتناثرة حول مصَاب الأمة في وفاة الرسول صلى اللهعليه وسلم[3].

8 – سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

جمع أبو تراب في هذا السّفر الضخم كمًّاكبيراً من سرايارسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي نَّقب عنهافي بطون كتب السّيرة والتأريخ ، يقول أبو تراب في المقدمة مبينا سبب تأليفه : "هذا ومعرفة المغازي والبعوث والسرايا علمٌ عظيم"[4]. وقد بلغت صفحات الكتاب 549 صفحة ، وهو من مطبوعات مكتبة تهامة عام 1404هـ /1984م ، والقارئ للكتاب يدرك الجهد الكبير

---

[1] التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة، عبدالقدوس الأنصاري، وعبدالفتاح أبي مدين، وأبو تراب الظاهري، مطابع الأصفهاني، 1385هـ، ص 89

[2] محاضرات نادي مكة الثقافي الأدبي ، ط 1، 1410هـ/1990م، ص 79.

[3] ذهول العقول بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أبو تراب الظاهري ، 1404هـ/1984م ، دار القبلة ، ص 7

[4] سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو تراب الظاهري، ط 1، مطبوعات تهامة، 1404هـ/1984م ، ص 17

الذي بذله الشيخ - يرحمه الله - في تأليفه ؛ إذ كان هذا العمل حصيلة قراءات عميقة من مصادر متفرقة[1].

9 – شواهد القرآن:

وهو من أعظم الكتب التي وَّرثها أبو تراب ، واعتَّز بها وفَاخر ، وذكر أنه مشروع علمي عظيم يقع في عشرة مجلدات ضخمة ، وقد صدر الجزء الأول منه عام 1404هـ / 1983م وقام النادي الأدبي الثقافي في محافظة جدة بنشره ، وهو مجلد ضخم يقع في 779 صفحة ، واعتنى فيه بشرح مسائل نافع بن الأزرق التي وجهها إلى حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- أما المجلد الثاني فقد طبعه النادي الأدبي الثقافي في محافظة جدة أيضا عام 1409ه/1989م وبلغت صفحاته 653 صفحة، وتركَّز جهده في هذا الجزء على الوقفات اللغوية العميقة مع مفردات القرآن الكريم، مراعيا في تفسير المفردات القرآنية الترتيب الهجائي ،َفيذْكرُ المفردة ، ثم يسوق آراء العلماء في تفسيرها، ثم يُعِّقب بالترجيح الذي يَقْرنُ فيه الرأي بالدليل، مكّونا بذلك معجما لغويا لمفردات القرآن الكريم[2].

وقد بَهَر هذا الكتاب جمعا من العلماء والأدباء والمفكرين ؛ لمابذله مؤلفه من جهدٍ مضنٍ يتضح للقارئ الحصيف، وقد سجل الأستاذ عثمان الصالح إعجابه بهذا الكتاب ، فقال : "وفي اللغة ومفرداتها يعتبر أبو تراب الظاهري مرجعا، ففي كتابه شواهد القرآن وفي كتبه اللغوية الأخرى ثروٌة لا تقدر بمقدار . وهذه الشواهد التي نقل شروحها، واستدرك عليها أبو تراب استفادها من مئات الكتب، وعشرات الأسفار، وتعتبر كنزاً ثمينا، وقاموسا علميا قيِّما."[3]

10 – صفة الحجة النبوية:

يمثل هذا الكتاب الوجهة الفقهية لأبي تراب، وبلغت صفحاته 36 صفحة ، وطُبع في دار البيان العربي بجدة عام 1404ه/ 1984م ، وأبان في مقدمته عن أبرز ماحواه الكتاب، فقال : "فهذه بعض أحكام الحج وعلى من يجب، وكيفية أداء النسك، وأركان كلٍ من الحج والعمرة، والأعمال الكاملة فيهما، والمحظورات والرخص في الُنسكَين ، وبيان مالا يصح في الحج ، وأحكام عيد

---

[1] المصدر السابق ، الصفحة الأخيرة

[2] شواهد القرآن ، أبو تراب الظاهري -. ط 1 ، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1989م ، ص 5

[3] جريدة المدينة، 1404/7/4 هـ

الأضحى ، وأيام التشريق ، وفضيلة الطواف بالبيت ، وحكم طواف الوداع، وأتبَعتُ كل ذلك بصفة حجة المصطفى - عليه الصلاة والسلام - خطوةً خطوةً ."[1]

11 – فتكات الأسد في مقاعد القتال بأحد:

كانت الغاية التي دفعت أباتراب لتأليف هذا الكتاب تلك الأغلاط والأوهام التي سَرَت عند أبناء العصر حول بعض الأحداث الإسلامية المهمة كغزوة أحد ، فجاء هذا المؤلَّف ليجمع تفاصيل تلك المعركة الفاصلة في تأريخ الإسلام ليفيد منه من يكتبون في زماننا هذا في السيرة النبوية وأحداثها ويصوِّرُونَ فيها كتيبات، ويُدبِّجون رسائل، وينشرون مقالات، ويسهمون في الإذاعات بالمسلسلات والروايات، فيغذونها بالخيالات والتصورات فربما خرج القول على غير مايومئ إليه النص التاريخي ، أوأضفى عليه جواً مختلفا تكذبه الوقائع.

وقد عُني أبو تراب في هذا الكتاب بجمع الروايات، والترجيح بينها، والوقوف مع بعض الأحداث الدقيقة في تلك المعركة مثل: صريخ إبليس ، هجاء حسان للمشركين ، خبر مُخَيريق، وخبر قَزْمَان ، والشعر في أحد ، وغير ذلك مماضَّمه الكتاب الذي بلغت صفحاته 229 صفحة ، وطُبع في دار القبلة للثقافة الإسلامية عام 1405هـ/1985م[2].

12 ، 13 – قوانين التصريف ، والعوامل النحوية:

يعدُّ هذا الكتيب آخر كتاب مطبوع لأبي تراب ، إذ طبع عام 1416هـ، وبلغت صفحاته 62 صفحة من القطع الصغير ، شَرَعَ بعد "الحمْدَلة " و "البسملة في الموضوع ، وبدأ بالرسالة الأولى ، وهي قوانين التصريف وضمَّنها بعض الأحكام التصريفية المهمة التي يُفِيدُ منها المبتدئون، من مثل حديثه عن : الإسكان ، والتحريك، والحذف ، والزيادة ، والإبدال، والقلب، وقوانين الأجوف، وقوانين المِثَال، وغيرها. ثم شرع بعد ذلك في الرسالة الثانية وهي العوامل النحوية وضَّمنها بعض الموضوعات الأساس في علم النحو من مثل حديثه عن :عوامل الإعراب ، والحروف الجارة ، والحروف الناصبة، وأسماءالأفعال، والأفعال الناقصة، وأفعال المدح والذمِّ، وغيرها.

وقد عَمدَ في الرسالتين إلى الاختصار والتركيز ؛ رغبة - فيمايبدو - إلى وضع هذا الكتيب بين يدي المبتدئين ، وغير المتخصصين ، واتضحت عقليته المنظمة من خلال التقسيم الدقيق،

---

[1] صفة الحجة النبوية، أبو تراب الظاهري ، ط 1، دار البيان العربي، جدة ، 1404 هـ / 1984 م ، ص 6

[2] فتكات الأسد في مقاعد القتال بأحد ، أبو تراب الظاهري -. ط 1، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، 1405هـ/ 1985م ، ص 1

والتنظيم في عرض المسائل في قالب سهل، وبطريقة واضحة، وأحسب أنَّ هذا الكتيب من الكتيبات المهمة التي لم يُلتَفَت إليهافي الطرح النحوي السهل للمبتدئين وغير المتخصصين[1].

14 – قيد الصيد:

عَمدَ أبو تراب في هذا الكتاب إلى جمع مقالاتٍ كَتَبَهاف ي مجلة المنهل تحت عنوان (قيد الصيد) كانت باكورتها في شهر ذي الحجة عام 1403 هـ - ، وقال في مستهلها: .."فالحرص - هنا- على إيراد المُقْتنَص ، وتَثبيت المستدرك، وتَعُّقب الوهم، واستكمال المبتور بالإيماء والتلويح، لا الشرح والتوضيح ، وهذا النوع من القيد هو مطلب كل طالب علمٍ". طُبِعَ هذا الكتاب في دار البلاد للطباعة والنشر عام 1404ه/ 1984م، ونشره النادي الأدبي الثقافي بمحافظة جدة ، ويقع في 230 صفحة[2].

15 – كبوات اليراع:

طُبِعَ هذا الكتاب في دار البلاد للطباعة والنشر عام 1402ه/ 1982م، ونشره النادي الأدبي الثقافي بمحافظة جدة ، ويقع في 419 صفحة ، وكُتب على غلافه الخارجي (الجزء الأول) ويبدو أن أباتراب كان ينوي إخراج الأجزاء المتبقية من هذا الكتاب فيمابعد ؛ حيث صَّرح في المقدمة أنه كَتَب منه ثلاثة أجزاء ، بيد أنه لم يُنشر إلا الأول .

وقد ضمَّ الكتاب بين دفتيه ثلاثا وثمانين ومئة مقالة قال عن سبب جمعهَا: "فهذا كتلبٌ ألّفناه لإصلاح خطأ الكُتَّاب، وليس سبيله ماانتهج ابن قتيبة في أدب الكاتب ، ولا الزبيدي في لحن العامة، ولا ابن مكي في تثقيف اللسان. وإنمانحوت فيه نحو عثرات الأقلام ، ولغة الجرائد لليازجي ، فقد ألف أنستاس الكرملي كتاب : أغلاط اللغويين إلا أنه تعقب القدماء، ونحن نتعقب كُتاب هذا الزمن ...وضَّمنتُ كتابي ماستدركت على المعاجم العربية ، ومأأصلحت فيهامن أخطاء ، ونبَّهت عليه من أوهام"[3].

---

[1] عصارة قوانين التصريف والعوامل النحوية ، 1416 هـ

[2] قيد الصيد، أبو تراب، دار البلاد للطباعة والنشر عام 1404ه/ 1984م، ص 13

[3] كبوات اليراع ، أبو تراب الظاهري، دار البلاد للطباعة والنشر، ط 1 ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ص 1402 ه/ 1982م ،ص 7.

16 – كتاب أخبار غزوة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر:

يعدُّ هذا الكتاب من أضخم مؤلفات أبي تراب حيث بلغت صفحاته 569 صفحة ، وطُبع في دار الندوة الجديدة في بيروت عام 1405ه/ 1985م ، وأبان عن سبب تأليف هذا السفر الضخم في مقدمته، فقال : "هذا كتاب جَمَعتُ فيه أخبار الغزوات الأربع : بني قينقاع ، وبني النضير، وبني قريظة، وخيبر التي كانت لرسول الله –صلى الله عليه وسلم – مع يهود،وجمعتهن معا؛ لأنها في امتدادها تستَقي جذور بعضها من بعض ...، وباعث جمعي هذا ما آنست من الكَتَبة اليوم من أنهم يُقْدِمُون على الكتابة في أمثال هذه الموضوعات، ثم لا يتزودون معلوماتهامن مصادرها، وإنما يتناولونها من الصحف ، ويضيفون إلى خلطها أوهاما أخرى ، وترجمات من الخيال مما يجعل صنيعها هذا عاريامن التوثيق ، ويَصِمُ عملهم بطابع الزيف ، أو أنه لا يُعبِّر عن الواقع"[1].

لقد كانت الرغبة الجامحة عند المؤلف في الذود عن سيرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - دافعا لاغترافه العميق من كتب الحديث والسيرة النبوية المعتد بها، بعد ترجيح الروايات ، وتصحيح الأحاديث، وفحص أسانيد الأحداث والقصص ، ومن ثَمَّ التعليق عليها.

وسلَ المؤلف في هذا الكتاب على النسق السردي للأحداث والروايات من دون إفراد كل غزوة على حدة ، ولم يرتب أحداث الغزوات ترتيبا منطقيا يريح القارئ والباحث ، ويُعاب على الكتاب عدم وجود فهرسٍ للموضوعات يرشد القارئ إلى مبتغاه .

17 – لجام الأقلام:

أودع أبو تراب كتابه لجام الأقلام سبعين مقالة استدرك فيها على أرباب الأدب والثقافة والفكر هفوات وقعوا فيها في أثناء كتابتهم، أو تأليفهم، واستطاع أن يمزج في تلك الاستدراكات بين العلمية والأدبية ، فهو يسوق الاستدراك في قالب أدبي يتجَّلى - غالبا- في تَقْدِمتِه لتلك المقالات ، ثم يكشف عن الأوهام، ويبسط الاستدراكات .

يقول في مقدمة كتابه مبينا سبب جمع هذه المقالات : "أومأ إليَّ بعض من أثق بخلتِهِ إلى تـ ضمين هذه المقالات التي أكتبها في المجلات والصحف اليومية شيئا مما يختلج في الخاطر من الصواب اللغوي، فصَغَا إليه فؤادي؛ لأن في هذا فائدة السعي، ومانغرس في خلدي مماشتغلت بهوأُ شربَ به قلبي، وهَفَاإليه هواي ؛ لأن قارئ الصحف اليوم يَمْرُقُ من الخطأ مروق السهم من الرمية ، ثم عليه عين كالئة تسوِّغ له الغلط من أجل إحسان النشر، ولا يدري أن نواحي الجرائد غير محروسة، ولا بيضتها مَحوطَة، وهو مع ذلك ملول سؤوم، كثير الإهمال والإمهال ،

[1] أخبار غزوة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر، أبو تراب الظاهري، ط 1، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1405ه/ 1985م، ص 5-6

فأنا أقول لصاحبي هذا : إني لهؤلاء لسديد المذهب، نصيح الغيب ، وسواء عندي أقاموا أودهم على تزكيتي ، أم تغبشوا وتحبشوا، فقد جاءهم البيان المعتمد، والتصحيح المعتصر . والكتاب حوىردوداً على بعض أعلام العصر من أمثال : الأستاذ أحمد عبدالغفور عَّطار، والأستاذ محمد حسين زيدان ، والأستاذ عبد القدوس الأنصاري وآخرون .

يقع الكتاب في 276 صفحة، وهو من مطبوعات مكتبة تهامة عام 1402هـ/ 1982م ، و كتب في آخره: "انتهى الجزء الأول من كتاب لجام الأقلام ، ويليه الجزء الثاني"[1].

18 – الموزون والمخزون:

يقع هذا الكتاب في 314 صفحة ، وهو من مطبوعات مكتبة تهامة عام 1402هـ / 1982م، وضمَّ بين دفتيه كما من المقالات المتنوعة التي كتبها في صحيفة البلاد عام 1385هـ تحت عنوان (موزون ومخزون) وبلغت ثنتين وخمسين مقالة غلب عليها الأسلوب الأدبي الرفيع ، وقدم لها مقدمة تمثل أنموذجا متميزاً لأدب أبي تراب، وقد عَّلل تسمية هذا الكتاب حين قال في مقدمته : وأُ لقي في رُوعي أن يكون "معجون الأدباء" هو عنوان هذا المسلسل، وقَوِيَتْ فيه النية، وصَحَّحتُ العزم، ولكن بعض الخلَّص من الأصدقاء أبى أن يكون هذا اسما مُعنونا، فكأنه أحسَّ بأن إسفنجة هذه اللفظة لا تبض بماء، فمسْتَعمَلُهَا المألوف يَسْتَعصِي معه استجلاب المعنى المتلوف. وذَهبَت الاقتراحات أيدي سبَأ، وهبَّ مني راقد الحزم، وتنبَّه عندي وافد العزم ... فألقيتُ "الموزون من المخزون" فتَدَاعَت الأصوات، وتجاوبت الأصداء، فكأنما ارتاحت إليه النفوس بعد أن انجذم زناد الفكر ، وخفقت الأعمدة على المغافر...فالموزون يوزن وزنا يشمل النقد والتعليق ، والمخزون يُخزن اختزانا يحوي الرواية والنقل، وهذا مُجْتَلَبٌ من الذاكرة ، وذاك معتصرٌ من الفاكرة"[2].

ومن أبرز عنوانات الكتاب : لا روعك الله، يازيدان، بين الحرفة والأدب، كيف تسرَّب الخداع إلينا، العيد مبتهج وهدف، مع صاحب تمر وجمر، هيف الضيف في حيف الصيف وغيرها.

19 - وفود الإسلام:

جَمع أبو تراب في هذا الكتاب أخ بار الوفود التي قدِمَت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في العام المعروف بعام الوفود في السنة التاسعة للهجرة ، وقد بلغ عدد الوفود التي جَمَعها في كتابه

---

[1] لجام الأقلام ، أبو تراب الظاهري، ط 1، مطبوعات تهامة، 1402هـ/ 1982م ، ص 11

[2] الموزون والمخزون، أبو تراب ، مكتبة تهامة، 1402هـ /1982م ، ص 31-41

اثنين وسبعين وفلاً ، حرص على ذكر أخبارها وماكان من محاوراتها، ومسائلها، ومن إكرام النبي الكريم وفَلَدَتَها، وماتخلل ذلك من حوادث ومعجزات، وما تنزل من وقد اعتمد في كتابه على مصادر السيرة النبوية المعروفة، مع الحرص على العزو إليها، واستنتاج الفوائد والدروس المهمة منها. والكتاب طُبِعَ في دار القبلة للثقافة الإسلامية عام 1404هـ/1984م، ويقع في 210 صفحة[1] .

20 – تعليق على رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم لشيخ الإسلام ابن تيمية :

طبعت من دار القبلة للثقافة الإسلامية عام 1405 هـ / 1984 م.

21- الرواة الذين وثقهم الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال وقد تكلم فيهم بعض النقاد من حيث البدعة:

أعد الكتاب محمد بن إبراهيم بن داود شحاذة الموصلي وراجعه أبو تراب وهو من مطبوعات دار القبلة للثقافة الإسلامية عام 1406 هـ /1986 م .

22 – مراجعة منتخب الصحيحين من كلام سيد الكونين قلى الله عليه وسلم:

جمعه الشيخ يوسف بن إسمعيل من الجامعين الكبير والصغير للسيوطي ، وهو مطبوع دار القبلة للثقافة الإسلامية.

ب – الكتب المخطوطة أو غير المجموعة أو التي هي تحت الطبع:

أذكر هنا مؤلفاته غير المطبوعة التي ورد ذكرها في المقالات التي ألفت حول حياة أبي تراب:

1 – أدعية القرآن والصحيحين: تحت الطبع، في 32 صفحة

2 – الأفاويق: مجموعة مقالات كتبها في جريدة البلاد عام 1386 هـ وعام 1387هـ. ويكشف عنوان الكتاب عن عمقه اللغوي، فالأفاويق ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يمطر ساعة بعد ساعة[2].

---

[1] وفود الإسلام ، أبو تراب الظاهري، ط 1 ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، 1404هـ/1984م ، ص 5

[2] لسان العرب ، مادة فوق

3 – الأوابد والأسمار: مجموعة مقالات كتبها في جريدة المدينة.

4 – بث الكث في الغث والرث (ديوان شعري): يحوي هذا الديوان الشعري 115 قصيدة . والنسخة المخطوطة موجودة في بعض المكتبات.

5 – البوارق والرعود (ديوان شعري): أشار أبو تراب -يرحمه الله - إلى هذا الديوان في مقالة له في جريدة البلاد حين قال :"لي ثلاثة دواوين شعرية منها: بث الكث في الغث والرث، ومنها: البوارق والرُّعُود"[1].

6 – الحواظر والخواطر: مجموعة مقالات كتبها في جريدة البلاد في 78هـ .

7 – الرزغة في قتل الوزغة: تردد ذكر هذه الرسالة في طيَّات كلام أبي تراب ذكر أن مادة هذه الرسالة نُشرت في مجلة "المنهل" عام 1308هـ ، وفي مقدمتها إشارة إلى هذه الرسالة، وبين سبب تأليفها؛ إذ كان الدافع من تأليفها ماحصل بين العامة من شِجَار طويل في المسجد الذي كان يصلي فيه حين قتَلَ أحدهم وزغة، فصاح بعض المصلين بإثم من قام بذلك، فعَّلق أبو تراب على الموقف بتصحيح ماقام به الفاعل ، فأنكر عليه بعض الحاضرين ملذَهبَ إليه ، فأوى أبو تراب إلى مكتبته ، وجمع النصوص ، وألَّف هذه الرسالة[2].

8 – سير أعلام الصحابة: يعدُّ هذا المؤَّلف من أضخم مؤلفات أبي تراب المخطوطة ؛ إذ بلغ تعداد صفحاته ما يربو عن مئة وألف صفحة.

9 – فهرس المطبوعات: الكتاب تحت الطبع ويضم عنوانات الكتب المبدوءة بحرف الألف ، وذكر منهاواحلاً وسبعين عنوانا. يذكر مع كل واحد منها: اسم المؤِّلف ، والدَّار الناشرة ، وعام النشر ، وأحيانا عن مضمون الكتاب .

10 – قطف الرياحين في تراجم الذين عاشوا من الصحابة مائة وعشرين

11 – لقلقة القمري في مكاسب أبي تراب العمري

12 – مزيل الاضطراب والخصام في الصف الأول عند الكعبة في غير جهة الإمام

13 – المفاخرة والزيف في المناظرة بين القلم والسيف

14 – إعراب القرآن

15 – الإمداد بصناعة المداد

---

[1] جريدة "البلاد"، العدد 820 ، 1381/5/6هـ

[2] تحقيق عن الوزغة والحرباء ، مجلة "المنهل"، المجلد 12 ، جمادى الآخرة 1380هـ، ديسمبر 1960م، ص 377

16 – أحكام الكلاق والبينونة

17 – تأنيس من أقبل على القربات

18 – تحقيق ديوان علقمة بن عبدة

19 – تحقيق مجاز القرآن لأبي عبيدة

20 – تخريج مسند أبي يعلى الموصلي

21 – تخريج منتقى ابن الجارود

22 – تذكرة المتزود

23 – التضمين في الشعر

24 – تفسير التفاسير

25 – تفسير ما يخفى من كلمات القرآن

26 – تناقض الفقهاء

27 – جامع الألفاظ

28 – ديوان العباسيات

29 – شرح ألفية ابن مالك

30 – شرح بلوغ المرام لابن حجر

31 – ضبط الأنساب

32 – شرح سنن الدارمي

33 – كتاب في الأحاجي والألغاز

34 – كتاب في التوحيد

35 – كتاب في قوافي الشعر

36 – المستدرك

37 – نظرة القدماء في الأدب

38 – الهوامش والتعليقات [1]

ج - النشاط الصحافي:

تعدُّ الصحافة من الأدوات المهمة في العصر الحديث لبثِّ الثقافة، ونشر الأدب، وإبراز الجديد في الساحة العلمية حتى قويَ مركزها في دنياالإنسان، فعظُم شأنها، وسمَت مكانتها، حتى قال روادها: إنها السلطة الرابعة في الحياة بعد السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ، وحتى سَّماها الرأي العام : المَلكة غير المُتَوَجة ؛ لما لها من أثرٍ ونفوذٍ كبيرين في مجرى الحياة. وقد عبَّر أمير الشعراء أحمد شوقي عن إعجابه بأثر الصحافة، فقال وقد شهدت الصحافة تطوراً ملحوظا في المملكة العربية السعودية ، وأصبحت عاملا مؤثراً في الحياة الفكرية والثقافية ، ووسيلة من وسائل نشرها، يقول الأستاذ عثمان حافظ مُبرزاً هذا التطور : "وكانت الصحافة تسابقُ الزمن في تطورها وازدهارها، ولقد واكبت الصحافة النهضة الحديثة في المملكة في مختلف مرافقها العمرانية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، فكانتأداةً صالحة لنشر الإنتاج الثقافي والفكري، ومنبراً عاما للأدب والرأي، وقد أدار الحركة الصحفية ، وقاد مسيرتها منذ حوالي أربعين عاما الرعيل الأول من أدبائنا ومثقفينا. وأبو تراب من تلك النخبة التي أسهمت في الصحافة السعودية، وما فتئ يكتب في صفحات صحفها ومجلاتها قرابة خمسين عاما ابتدأها من صحيفة البلاد السعودية عام 1376هـ تقريبا، وختمها بمقالة عنوانها "وقفات مع لغة القرآن" لفظة ركزًا" نشرها في جريدة المدينة بتاريخ 1423/1/25هـ أي قبل وفاته بأقل من شهر. وقد صرَّح أديبنا بكثرة مقالاته التي أودعها الصحف والمجلات ، وأشار إلى تنُّوعِ موضوعاتها، فقال : "هناك مقالات لم يتسن لي جمعها هي مبثوثة في الجرائد المحلية والمجلات ، لو جمعتها لكانت أجزاء ، وهي في شتى الأبحاث من دينية مَحْضَة إلى أدبية متفرقة"[2] .

ومن الصحف والجرائد التي أودعها أبو تراب كما كبيرا من مقالاته هي كما يلي:

1 – صحيفة البلاد

2 – صحيفة المدينة

3 – صحيفة عكاظ

4 – مجلة المنهل

---

[1] مقتبس من مقابلات أجريت معه في جريدة "اليمامة وعكاظ والبلاد"

[2] من مقابلة أجريت معه في جريدة "البلاد"

5- مجلة الرائد

6 – صحيفة حراء

7- مجلة الأدب الإسلامي

8 – صحيفة المسلمون [1]

د – المحاضرات:

لم يكن إسهام أبي تراب في المحاضرات والندوات يوازي إنتاجه الكتابي أو الصحفي ، ومرد ذلك إلى انهماكه الشديد ، وحبِّه البالغ للبحث والتأليف الذي طواه حقبة من عمره ليَلزَم مكتبته، ويعكف على قراءة ما فيها من معارف مختلفة، وقد كان للعزلة التي عاشها في بعض سني عمره أثرٌ في انعزاله عن بعض مؤسسات المعرفة والفكر، وعدم تقدير بعضها لما يملكه من موسوعية لا تتوافر عند أقرانه ، وأبناء عصره، يضاف إلى ذلك طبيعة أبي تراب التي تَنزع إلى التواضع ، والبعد عن الشهرة مماجعل بعض الأدباء والمفكرين لا يعرف عن هذه الشخصية إلا البراعة في علم اللغة ، والإتقان في علم النحو، وهذه مغالطة صريحة لعلَّ هذا البحث يُبَدِّدُ شيئا منها.

وإذا نظرت إلى تلك المحاضرات والندوات التي قدَّمها أبو تراب لأرباب العلم والمعرفة أجدها- على قلتها- ذات قيمة علمية كبيرة ، فهي حصاد قراءات عميقة لسنوات طويلة اختزلهااللمتلقين لتكون على شكلزُبَدٍ علمية يعزُّ على المتلقين أن يحصلوا عليهافي مجلسٍ واحد . ومحاضرات أديبناتتسم بكثرة النقل، ومناقشة الآراء، ووفرة الاستطرادات المفيدة، وتوشح بعضها بوشحٍ أدبي كسابه الفكرة العلمية بأسلوبه أدبي رفيع .

ومحاضراته لا تخلو من حالين :

1 - محاضراتٌ علمية صِرفة ، كمحاضراته في علم الحديث واللغة.

2 - محاضراتٌ أدبية نقدية أثبت فيهامقدرةً نقدية وأدبية متميزة .

[1] تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، عثمان حافظ، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، ص 10، و انظر مقابلة أجريت معه في مجلة اليمامة

وفيما يأتي أسماء المحاضرات التي ألقاها:

1 – الأدب العربي بين الأصالة والمعاصرة.

2 – الحديث والمحدثون

3 – النحاة واللغويون

4 – نظرة الجمال عند ابن حزم

5 – نظرة القدماء في الأدب العربي

6 – محاضراته في إثنينية الأستاذ عبد المقصود خوجة [1]

[1] الإثنينية 387/2

الفصل الرابع:

العوامل المؤثرة في أدب أبي تراب

في بحثي عن أبرز العوامل المؤثرة في أدب أبي تراب سأعمد إلى تلُّمس أبرز العوامل المباشرة، والتجارب الشخصية التي كَّونت توجها أدبيا مميزاً لهذه الشخصية، أمَّا العوامل العامة التي أثَّرَت في أدباء المملكة فهي مبسوطة في مظانها، واستحضارها- في تقديري - لونٌ من التكرار والإطالة ، لا أجد له مسوغا.

وفيما يأتي أبرز العوامل المؤثرة في أدب أبي تراب، مستحضراً في ترتيبها الأهمية، ومبلغ التأثير:

1 – البيئة الأدبية:

عاش أبو تراب مطلع حياته في بيئة علمية لم ترتبط - كمايقول – "بطابع الأعمال الجليلة التي تُذْكر عادةً في صفحات التاريخ ؛ لأني عشت حياتي خلف الدروس جاثياعلى الركب في الجوامع والمساجد ، وإن كنت لم أجث على ركبَتَيَّ إلا متعلما. ونَزَع أبو تراب في تلك البيئة إلى الأدب وفنونه ، فتلَّقى عن جده الأدب الفارسي ، وقرأ على والده كماكبيراً من كتب الأدب، ودواوين الشعراء، كديوان حسان بن ثابت، وأبي العتاهية، وأبي تمام، والبحتري، والمتنبي، ومن تلك البيئة ارتبط أديبنا بالتراث الأدبي ، وتَعَّلق بالشعراء السابقين الذين قرأ لهم، أو حفظ ، فبدأ منهجه المحافظ يبُزُغ من تلك البدايات المحافظة . ثم انتقل إلى الحجاز، وكان انتقاله مُتغيراً جذريا في حياته الفكرية والأدبية؛ إذ انتقل إلى بيئة ذات نوافذ مفتوحة على ثقافات الآخرين، وآدابهم، واتسم أهلها بحسٍّ أدبي رفيع ، وعُرِف شبابها بتنافسهم الشديد في مضمار الأدب، وانفتاحٍ في القراءة والاطلاع لم يعهده أديبنافي بيئته الأولى ، فلم تكن تلك المتغيرات تمُّر مروراً عابراً على رجلٍ كأبي تراب . وفي الحجاز حركة دائبة تأبى الركود، وتستعصي على الجمود؛ حيث شرُفَتْ بالبيت الحرام ، مأوى أفئدة المسلمين بأطيافهم المختلفة، وثقافاتهم المتعددة، فلا غرو أن تكون منطقة الحجاز ذات دملٍ جديدة، قابلة للتغير، والتطور الدائم، وهذا سبب مهمٌ من أسباب ازدهار الأدب فيها. يقول الدكتور صالح الزهراني : "كان الحجاز بما يمثله من ثقل استراتيجي في العالم الإسلامي أوَّل أقطار الجزيرة العربية تَمَرُّسا بالمُثاقفة، وأكثرها استشرافا للتجديد ، فالحركة الدينية التي لا تتوقف بما تحمله في طيَّاتها من رؤى جديدة ، وأفكار مختلفة كانت أحد

أهم أسباب النهوض الفكري ، والازدهار الثقافي مع وجود القابلية للتَّمَثُّل لدى أبناء الحجاز واستطاع أبو تراب أن يمتزج امتزاجا كبيراً بالبيئة الحجازية[1].

ومن أظهر آثار البيئة الحجازية في إبداع أبي تراب التأثُّر الكبير بأصدقائه وزملائه من الأدباء المعدودين اليوم في الجيل الأول من أدباء المملكة العربية السعودية، ولنأْ فيض الحديث عن انعكاس تلك الصحبة في أدب أديبنا؛ لأنني سأُفرد لأصدقائه حديثا خالصا في مؤثرٍ قادم .

وكان من تجليات البيئة الحجازية أيضا ما وجدته في أدب أبي تراب من مطارحات شعرية، ومعارك أدبية وفكرية عُرفت بها بيئة الحجاز آنذاك ، وكان من دوافعها ما اتسمت به تلك البيئة من توافر المجالس الأدبية والفكرية، التي كان لأبي تراب نصيب منها؛ إذ كانت له خلوة علمية وأدبية بـ "الداودية" في مكة المكرمة. وهذا المجلس يمثِّل قمة الامتزاج بتلك البيئة ، والإعجاب المتناهي بإنتاج أدبائها، والحرص على لُقيَاهُم، والسَّمَاع منهم، فكان التفاعل باديا، والتأثر جليا. ويتجَّلى أثر تلك البيئة العاشقة للمنتديات الأدبية، والمجالس الفكرية في أدب أبي تراب من خلال إسهامه الفاعل، وحضور الدائم لإثنينية الأستاذ عبدالمقصود خوجة ؛ إذ تناثرت أشعاره، وتوالت مشاركاته وتعليقاته في هذا المحفل الأدبي المعدود من ظواهر الرقي الفكري والأدبي في إقليم الحجاز[2] .

ولا ننس أن الأندية الأدبية في الحجاز كان لها أثر في أدبية أديبنا فهوواحدٌ من المشاركين الفاعلين في النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة ، وكان أحد المرتبطين بالنادي الثقافي الأدبي في محافظة جدة. ويَسجَّلُ للبيئة الحجازية أنها سبَقَت بقية أقاليم المملكة بالتعليم، وحلقات العلم المنتشرة في الحرمين الشريفين، إضافة إلى إحياء وطباعة بعض الكتب القديمة من دواوين شعرية، ومؤلفات لغوية، وسائر الفنون، حيث أصبحت في متناول الجميع وكان للمطابع أثرها الفاعل في تشجيع الأدباء على طباعة إنتاجهم، كما كان للصحافة السعودية - التي بدأت من الحجاز- أثرهافي تشجيع الأدباء أيضا لنشر إبداعهم ، وأديبناأبو تراب عاش في ظ لال تلك المؤثرات المشجِّعة؛ إذ نَهَلَ من حلقات العلم، وأفَادَ من مكتبة الحرمين، وكانت الصحافة أداةً مهمة في نشر أدبه ، وتحريك كوامن الكتابة في نفسه ، فكتب جمهرة من المقالات انثالت على صفحات الصحف الحجازية[3].

---

[1] الإثنينية ، 392/2

[2] المصباح والصولجان ، د. صالح الزهراني، ط 1، مطابع جامعة أم القرى ، 1424هـ، ص 9

[3] مقالة "أبو تراب الظاهري"، د. عبد الله الغذامي ، جريدة الرياض ، العدد 12379، 1423/3/4هـ

2 – مكتبته:

وقد سبَقَ الحديث عن مكتبة أبي تراب ، وإسهامها الفاعل في صناعة موسوعيته، ويعنيني - هنا- تلمُّس الأثر الذي تركته تلك المكتبة في إنتاجه الأدبي ؛ إذ كان أبو تراب من المولعين بقراءة كتب التراث الأدبية، حتى إنه يجد فيها متعة، وسلوةً يُجِّددُ بها نشاطه إذا شَعرَ بالملل والسآمة. وقد تركت تلك القراءات المتنوعة في دواوين الشعراء السابقين، وكتب الأدب القديمة أثراً جليا في أدبه، وسأكتفي بالإشارة - هنا- إلى بعض تلك الآثار:

أ- الافتتان بأساليب القدماء من حيث النزوع إلى الأساليب الفخمة، وانتقاء الألفاظ الجزلة ، والعناية بالمحسنات اللفظية .

ب- كثرة الاقتباس والاستشهاد بأشعار العرب وأمثالهم في أغلب إبداعه .

ج- النزعة الساخرة مما يراه من أبناء عصره من افتتانٍ بأساليب الأدباء الغربيين ، وانجرافٍ وراء الأساليب المُحدَثة، فكان قلمه سيفامُصلْتا ضد هؤلاء، وجعل منهم أداة للسخرية والاستنقاص .

د- محاكاة بعض الأجناس الأدبية القديمة التي أحجم عنهاجلُّ المعاصرين، كفَّن المقامات الذي حاكاه في مقامته المفاخرة والزيف في المناظرة بين القلـــم والسيـف، وكذلك ظهر أثر ذلك الفن جليا في مقالاته الموسومة بالأفاويق وغيرها[1].

3 – أصدقاؤه:

يبدو أنَّ إعجاب أبي تراب بأدباء الحجاز، ونزوعه الفطري إلى الأدب شجَّعه على الاقتراب منهم، والجلوس معهم، والاستماع لإبداعهم، ومشاركتهم همومهم، وفي الجانب الآخرو َجَدَ أدباء الحجاز في أبي تراب صية أدبية تجمع بين الأصالة، والقدرة اللغوية، والإبداع المتمِّيز، مارأوا من موسوعيته العلمية التي أصبحت سنداً لكثيرٍ منهم يأوون إليه إذا داهمتهم مشكلة لغوية، أو تأريخية، أو أعياهم نسبة بيت شعري إلى قائله ، وقد حكى صديقه الحميم الأديب محمد حسين زيدان تلك المرجعية بقوله: "ماعجزت عن مسألة إلا وجدته حاضر الإجابة، فأنا في عشوتي هذه هو بصَرِي، وهو بَصِيرَتِي، فكم أنا مدينٌ له بما يُبْصِرُ لي ، وبما يُبَصِّرُني واستطاع أبو تراب أن ينخرط مع لفيفٍ من الرعيل الأول من أدباء الحجاز، وأن يبني معهم علاقات حميمة ، فكانت مجالسهم لا تنقضي إلا بمناقشاتٍ أدبية، أو مسامرات شعرية، أو قضايا ينتج منها مشروع

[1] إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، د.إبراهيم الفوزان ، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ص 365

مقالة يودعها في الصحف أو المجلات، وهكذا وجد في ثلة من الأصحاب ما يدفع همَّتَه للكتابة ، ويثير عاطفته للإبداع"[1].

لم تكن له علاقة إلا بأدباء الرعيل الأول، فقد كانوا يأتون إليه، ويتناقشون في قضايا اللغة والأدب، وأذكر منهم صديقه الحميم محمد حسين زيدان، وأيضا طاهر زمخشري، ومحمد حسن فقي .

كما كانت له علاقة وثيقة بأدباء آخرين منهم : عبدالقدوس الأنصاري، وأحمد الغزاوي ، وعزيز ضياء، وحسين سرحان، ومحمود عارف، وأحمد السبَاعي، وعلوي الصافي، وعبد الفتاح أبو مدين، ولم تقتصر علاقات أبي تراب بأدباء المملكة فقط بل كانت له علاقة بأدباء من الخارج ، ومن أبرزهم : العلاَّمة محمود شاكر، والمحقق عبدالسلام هارون ، والأستاذ عباس محمود العقاد، والأستاذ أحمد أمين ، والشيخ علي الطنطاوي، والشاعر محمد مصطفى حمام ، والشاعر العراقي الدكتور زاهد زهدي ، وغيرهم .

وقد تجلَّت آثار تلك الصحبة في أدب أبي تراب من خلال وفرة المعارضات الشعرية التي مثَّلت ظاهرة واضحة المعالم في إنتاجه الشعري. كما انعكس أثر الصداقة في الوفاء الكبير، والاحترام الواضح لأصدقائه وزملائه ، وفي إثنينية الأستاذ عبدالمقصود خوجة دليلٌ صارخٌ على ذلك الوفاء ، فهو يبادر بالمشاركات الشعرية أو النثرية المُعبِّرَة عن عاطفة الحب والإعجاب والوفاء تجاه صديقه المكرم ، إضافُة إلى لمسات الوفاء والعرفان التي تطالعنافي مقالاته تجاه أصحابه في مناسبات مختلفة[2] .

4 – تدينه:

سبقت الإشارة إلى النشأة الدينية التي استظلَّ بهاأديبنافي ظلِّ حرص والده عليه، ومازرعه في نفس ابنه من قيمٍ دينية راسخة ، كان عمقها كفيلاً ببقاء أثرها طوال حياته ، التي قضى جُلَّها قريبا من الحرمين الشريفين ، يستشعر حرمتهما، ويعيش عَبَق مواسم الخيرات فيهما، فجاء أديبنا المتدين مناضلاً ضدَّ أيِّ مسلٍ بالدين، أو خَشٍ للغة القرآن، أو استنقصٍ من تراثناالخالد، كماكانت عاطفته الإيمانية متوهجة في وعظ ه ، وفي حديثه عن قضاياالمسلمين الأليمة ،كقضية فلسطين .

ومن أبرز انعكاسات تدينه وفرة المقالات الوعظية التي يدعو فيها الناس إلى معرفة حقيقة الدنيا، وبيان بُهْرجِهَا الزائف ، وحُطَامِهَاالزائل، إضافة إلى تفاعله الكبير مع المواسم الدينية

---

[1] الإثنينية، 406/2

[2] جريدة "البلاد" ، العدد 8118، 1406/3/19هـ

المختلفة كرمضان والحج ، فيخصِّص لها نصيبا من مقالاته . أمَّا في الشعر فإنَّ أثر التدين يظهر في وفرة القصائد النابضة بالإيمانيات، التي يدعو فيها إلى التوبة النصوح، واستشعار الضعف أمام قوة الله ، والإحساس بثقل الذنوب[1].

5 – أعماله:

التصق أبو تراب مدةً طويلة بالعمل الصحفي والإعلامي، ومعلوم أن هذين الميدانين من أبرز النوافذ لنشر الثقافة والأدب في المجتمع ، وهي معدودة من العوامل المهمة في دفع العجلة الأدبية في البلاد .

وقد كان لأعمال أبي تراب التي زاولها أثرٌ في تَحْفِيزِهِ على الإبداع ؛ ففي عمله الصحفي كان قريبامما ينشره أعلام الأدب والثقافة، وكان يَقرَأ إنتاجهم بتأنٍ ورويَّة، ويمارس دور المصحح والناقد، كما وقَفَت موسوعيته العلمية لتعزيز ذاك الدور ، فكان خطأ الكاتب اللغوي أو التأريخي ، أو غير ذلك يعني مشروع مقالة ، وربما مقالات ولك أن تُطالع كتبه أوهام الكتاب و كبوات اليراع و لجام الأقلام فهي حصاد سنوات طويلة قضاها في الأعمال الصحفية .

لقد كان العمل فرصة مواتية لأبي تراب أن ينشر إبداعه ، وأن يَعرِفَ الجمهور منْحَاهُ الأدبي ، كما كان العمل مُعزِّزاً لزيادة إنتاجه ، وخاصة في فن المقالة الذي ورَّث منه أضعاف ماورَّثه من شعر[2].

6 – قوة حافظته:

امتلك أبو تراب حافظة عجيبة قرأتُ وسمعتُ عنهامايبدو للوهلة الأولى أنه ضربٌ من الخيال ، ونسجٌ من الأساطير ، وأنموذٌ ج عابر من أزمنة بعيدة، وقد تحدَّث عن تلك النِّعمَة بقوله : "كانت ذاكرتي في الفتوة عجبا، حَفِظ ت أربعين ألف مادة في اللغة، ونحو عشرة آلاف بيتٍ من الشعر سوى القصائد الشهيرة، وحفظت نحو خمسين ألف حديث"[3] .

ولاشك أن هذه الحافظة العجيبة كانت مثار إعجاب أصدقائه ، والمترددين عليه ، ومن أولئك صديقه الأستاذ عبدالله بغدادي الذي وصف أباتراب بقوله : "أبو تراب عالمٌ تجمعت في رأسه

---

[1] الأدب الحجازي بين التقليد والتجديد ، د. إبراهيم فوزان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 265/1

[2] إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، د. إبراهيم فوزان، ص377

[3] مقابلة أجريت مع أبي تراب في جريدة "البلاد" سبق ذكرها

قواميس اللغة العربية وغيرها من دوائر المعارف ، ودواوين الشعراء ، وحكايات البلغاء ، وذكريات العلماء ، وأفانين الفصحاء "[1].

ولعلَّ من أبرز الآثار التي تركتهاتلك الحافظة العجيبة ماظَهَرَ في نثره من تنوعٍ عجيب في اقتباساته واستشهاداته ، فهو يبُّث في طَّيات مايكتب نصوصاشعرية، وأخرى نثرية من عصور مختلفة، ومن شعراء لا يكاد يعرفهم إلا أهل الاختصاص، يضاف إلى ذلك ما تركته تلك الحافظة من تأثرٍ واضح المعالم بأساليب من يحفظ لهم، فهو يوظّف كلمات الشعراء والناثرين في إبداعه توظيفا متميزاً من دون تكلُّفٍ، أو تَصنُّع في الغالب .

7 – حدته:

يقول أبو تراب ترجمة كتبها: " يميل صاحب الترجمة إلى الحدَّة في الطبع تجرُّه إلى المصارحة بالقول على ما يعتقده ، ولو جرَّه ذلك إلى فَقْدِ مصلحة ، أو صَرِيمَة صديق"[2].

وكان من أبرز انعكاسات الحدَّة التي عرِفَ بها أديبنا: معاركه التي خاض غمارهامع عدد من المفكرين والأدباء والمحققين، وكانت أداةً مُسْهمة في وفرة إنتاجه، وميدانا ماتعا في حياته الفكرية والأدبية . وقد سجَّلت صفحات الصحف والمجلات لأديبناعداً من المعارك المختلفة ، في قضايامتنوعة منها: معركته مع الأستاذ عباس العقاد ، والشاعر أحمد الغزاوي ، والشيخ أحمد شاكر ، وتعد معركته مع الأستاذ أحمد عبدالغفور عطَّار، ومعركة ضم جيم جدة من أشهر المعارك التي خاض غمارها[3] .

8 – فقره:

لم يعرف التَرَف مسْلكًا في حياة أبي تراب، اللهم إلا الترف الفكري. وإذا كان أبو تراب قد عاش حياة الفقر في واقعه ، فإنه عاشها أيضا في أدبه ، فوجدت تفاعلا واضحامع تلك المعاناة. كما يظهر تفاعله مع فقره فيما كتبه من مقالات يدعو فيها إلى الاستيصاء بالفقراء، والتعاون معهم ، وتلمُّس احتياجاتهم ، من مثل مقالتة الاستيصاء بالضعفاء ومقالة بين الحرفة والأدب وغيرها[4].

---

[1] من مقالة "ورحل صاحب شواهد القرآن"، ملحق الأربعاء، جريدة المدينة

[2] مقتبس من "مقالة أبو تراب الظاهري"، د. عبد الله الغذامي ، جريدة الرياض ، العدد 12379، 1423/3/4هـ ، ص 34

[3] نظرات في الأدب السعودي، راضي صدوق، ط 1، دار طريق للنشر والتوزيع، الرياض، 1414 هـ/ 1993م، ص8

[4] أبو تراب الظاهري العالم الموسوعة أو سيبويه العصر، علوي الصافي ، ص 15

9 – كبر سنه:

وصدفَ العرب الشيب بأنه مَيَسم التجربة ، وشاهِد الحنكة وتجلَّى هذا القول في إبداع الأدباء منذ القدم وحتى عصرنا هذا ؛ إذ تجد للأديب الذي طوى السنوات الكثيرة نظرةً في الحياة تختلف عن أديبٍ في مقتبل عمره، وتجد أنَّ أدب الكبير نابضٌ بحكمة وتجربة لا تجدها إلا عنده ، وترى نزعة التأمل في الحياة ، وسَبْر حقيقتهاقد تجَّلت في أدبه أكثر من أدب غيره .

وأبو تراب من الأدباء الذين غادروا الدنيا في سنِّ الثمانين، فكان عمره المديد عنصراً فاعلاً في أدبه[1].

10 – العمق اللغوي:

يعدُّ أبو تراب واحداً من أبرز اللغويين في العصر الحديث ، ولعلَّ كتبه، وبرامجه الإذاعية، وخاصة برنامجه الشهير " شواهد القرآن " تشْهَدُ على ذلك العمق والتَبُّحر في علم اللغة، إضافة إلى شهادة تلاميذه ، والجالسين معه؛ حيث كان علم اللغة أحَدَ العلوم التي هَالَهُم رُسُوْخ الشيخ فيها، والتاريخ ، والنحو إلا أنَّ علم اللغة العربية هو الذي تميز به من بين معاصريه ، وهذا ما اشتهر به ، ومؤلفاته ومقالاته وبرامجه الإذاعية تشهد بذلك ، ولا أعلم أنَّ أحداً مثله في عصرنا في اللغة وعلومها.

ولعلَّ من أبرز تَجلّيات هذا المؤثر في أدب أبي تراب ما يأتي :

أ - استخدام أبي تراب لشوارد الألفاظ ، وحرصه على التراكيب المتينة بعد أن لمس الركاكة والغثاثة والتفاهة في كثير من أساليب الكتَّاب، مع جهلهم الكبير بالمفردات اللغوية، والتراكيب القوية .

ب- بروز الاتجاه النقدي فيما كتَب من مقالات ؛ نتيجة مايراه من أخطاءٍ من كتَّاب عصره في مفردات اللغة ، أو النحو، أو الصرف، وفي كتاب " كبوات اليراع " و"أوهام الكتَّاب " و" لجام الأقلام " نماذج تُمَثِّلُ هذا الاتجاه .

ج- الاستطراد اللغوي في بعض مقالاته؛ رغبُة في توضيح المعنى ، وبيان أوجه استخدام الكلمة، وذكر شواهد الشعر، أو أقوال العرب التي تعضد ماذهب إليه .

د- المطارحات الشعرية مع بعض الشعراء ؛ رغبة في تعجيزهم في استخدام بعض القوافي ، وإظهار مقدرته اللغوية في استخدام شوارد الألفاظ.

---

[1] نفس المصدر السابق ، ص 16

هـ - النزوع إلى الاعتزاز باللغة العربية الفصحى، والاهتمام بقضاياها، والـوقوف ضد أعدائهـابقوة وصـرامـة ، حتى وصفـه بعض الكتّـَاب بالحارس الأمين للغة العرب وعميد اللغة العربية[1] . ويبقى العمق اللغوي مؤثراً واضح المعالم في أدب أبي تراب .

11 – رحلاته:

سبق الحديث المفصل عن رحلات أديبنا التي طوَّف بهابلدان العالم ، وبقي أن أذكر - هنا- أثر تلك الرحلات في أدب أبي تراب ؛ فعاطفة الشوق إلى بعض البقاع التي زارها تَرْتَسِمُ في بعض نصوصه، والطبيعة الخلابة، والمناظر الجميلة تحرِّك شاعرية الوصف ، وإذا ما سَمِع أديبنا بكارثة حَلَّت ببلدٍ زاره تأثر تأثراً بالغا . وفي رحلاته المتواترة إلى مصر ما يستدعي حديثا عن علمائها ومفكريها، واسترجاع بعض ذكرياتها، وإذا ماتحدَّث عن مكتباتها، ونفائس الكتب التي ضمتها خزائنها فإنه يجد متعته ولذَّته ، ولك أن تتأمل على سبيل المثال مقالاته الآتية : محمد عبد الرزاق حمزة: محدث عصره وإلى حسن آل الشيخ وزير التعليم العالي والمستدرك على أحمد شاكر [2]

وعلى كل حال فإن هذه المؤثرات تعدُّ الأبرز في أدب أبي تراب، ولا يعني هذا عدم تأثُّره بالمؤثرات العامة في أدباء المملكة من مثل : التعليم، والصحافة ، والإعلام ، والأندية الأدبية وغيرها من المؤثرات التي لمْ ُ سهب في الحديث عن نشأتها وتطورها، وأبرز مؤسساتها؛ حرصاعلى التركيز في العوامل المباشرة التي أثَّرت في أدب أديبنا.

---

[1] نفس المصدر السابق، ص 16

[2] من مقالة "إنا على فراقك لمحزونون"، جريدة الجزيرة سبق ذكرها.

الباب الثاني:

أبو تراب الظاهري شاعرا

الفصل الأول : موضوعات شعر أبي تراب

الفصل الثاني: خصائص شعر أبي تراب الفنية

الفصل الأول :

موضوعات شعر أبي تراب

قبل أن أدلف إلى تحليل النصوص الشعرية لأديبنا أبي تراب يحسن بي أن أشير إلى أبرز المصادر التي استقيت منها مادته الشعرية، وبنيت عليها دراسة الشعرفي هذا الباب ، إذ وجدت تلك المصادر لا تخرج عن الآتي :

أولا : ديوانه الشعري الموسوم بـ "بث الكث في الغث والرث " وهو ديوان ضخم ضم عددا كبيرامن إنتاجه الشعري ، وسبقت الإشارة إليه في الباب السابق. والعدد الكثير منه موجود في بعض الكتب التي ألفت حوله. ونسخ من هذا الديوان المخطوط موجود في بعض المكتبات الهندية.

ثالثا: مشاركاته في إثنينية الأستاذ عبد المقصود خوجة ، إذكان من أبرز روادها، ومن أكثر المسهمين فيها بشعره ونثره ، حتى أطلق عليه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الهليل لقب "شاعر الإثنينية " .

رابعا: القصائد المنشورة في الصحف والمجلات التي كان يكتب فيها.

ومنهذه المصادر المتفرقة استطعت أن أصل إلى ما يزيد عن ثلاثة آلاف بيت شعري لأبي تراب أقمت عليها هذهالدراسة ، وسأتناول في هذا الفصل أبرز الموضوعات التي طرقها شاعرنا، وهي :

أ ـ شعر المديح :

شاعرنا أبو تراب من أولئك الشعراء الذين ولجوا هذا الغرض بقوة، فاستحوذ غرض المديح على أغلب إنتاجه الشعرية، ووجد في هذا الغرض سانحة للإشادة برجال أسهموا في تحقيق أهداف أمتهم، وسعوا في مصلحة مجتمعهم ووطنهم ، ورعوا العلم وشجعوا العلماء، كما اتخذ منهذا الغرض مطية لإبراز عاطفة الوفاء تجاه من يحبهم من العلماء والمفكرين والأدباء والأصدقاء، وغيرهم .

وأول ظاهرة ألمسها في هذا الغرض ما خص به ولاة أمرهذه البلاد . من ذلك قصيدته في مدح الملك سعود بن عبد العزيز الموسومة بـ "تحية للملك سعود" ومما قاله فيها:

حزت المفاخر والفضائـــــل وانهـل جودك ممطـــــرا فيض

أسعود يا حامي الجـــــزيرة يا من فدته بنو العروبة والعجم

لـــــك عند رب العرش أجر إذ عمـــرت حسناك بيتا فاستتم

أسست للإسلام صرخا عاليا فالعدل والإحسان والتوحـــــيد [1]

إن الملمح البارز في مدح أبـي تـراب للملـوكهوعدم الإطالة في المديح ؛ رغبة في اختـزال معانـي الثـناء والإطـراء، وابـتعادا عن تمدد الأفكار وتوالدها. ولمـا كـان المـد ح-هنا- متجها إلى الملوك وقف شاعرنا في معانيه وأفكاره بما يناسب مقـامهم، فجـاءت أفكـاره واضـحة، ومعانـيه جـزلة، وارتكز في مدحه على الإشـادة بالفـضائل المعنوية، كالعـدل، والحكمـة، والـدهاء، وعراقة النسب، وخدمة الدين وغيرها مما ينصرف إليه جيد المديح .

ومـن المظاهـر اللافـتة في غـرضالمـديح عـند أبـي تـرابقـصائده التـي وجههـا إلـى صـديقه الحميم الـشاعر أحمـد بـن إبـراهيم الغـزاوي ، وعـرفت بـ "الغـزاويات" وهـي قـصائد عبـرت عن إعجاب شديد بشعرالغزاوي، الذيـنزع إلـى الاغتـراف مـن الـشعر القديم، وحاكى شعراءهم، فاتسم شعره بالمحافظة على الأوزان، ووحدة القافية، والألفاظ الجزلة، والتراكيب القوية المتقنة، والـصور الحـسية فكـان مـن أبـرز الـشعراء الذين مثلوا المدرسة المحافظة في الشعر السعودي، وشاعرنا من المدرسة نفسها، ومنالمهتمين بالتجويد اللغـوي، والفـصاحة في الألفاظ والتراكيب، فوجد في شعر الغزاوي بغيته، فلهج بذكر أشعاره ، وشدا بإطراء شاعريته.

ومما قاله أبو تراب في مديح شاعرية الغزاوي:

أرسل الشعر فالطبيعة يقظى والقـــوافي ترمـــق لحظى

من فنـــــون البديع صـــغت لو تناجي به الصخور تشظى

التعابير فاتنـــــــات كالسحر تنظم الدر حين تنشـــر لفظا

أنت رب البيان تبعث روحا حيث أوتيت في البلاغة حظا [2]

ومن ملامح غرض المديح عند أبي تراب ظاهرة المديح النبوي التي وجدت لها حـضورا في ديـوانه المدحـي ، ولا عجـب ، فأديبنا نشأ في بيئة متدينة ، وتعلق بسيرة المصطفى - صلىالله عليهوسلم - إضـافة إلـى أنـه قد قـضى جـلعمره في أرض الحجاز مهد الرسـالة ، ومحـتوى أحـداثها، وحاضنة معالمها، والتي تميز أدباؤها ببزوغ النزعة الدينـية في أدبهـم.

---

[1] مجلة "المنهل"، ج 2، فبراير 1975 م ، ص 78 ، وديوان بث الكث في الغث والرث (مخطوط).

[2] نفس المصدر السابق

وممـالا شـك فـيه أن المـدائح النـبوية تنبع من عاطفة صادقة، تنبئ عن حـب عمـيق ، وتعلـق شـديد بالمـصطفى - صـلى الله علـيهوسلم - فهي -كمايقـول الدكاتـرة "لونمن التعبيرعن العواطفالدينية، وباب من الأدب الرفيع" ؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص.

فيقول مادحا النبي الكريم - عليه أفضلالصلاة وأتم التسليم:

يا من شفاعته مرام يرتجى	اجعل مديحي من رضـــــاك
الوحي والفتح المبيـــــــن	والبدر منشقا رأوه أفلجـــــا
والماء يجري من أنامـــــل	والصخر خاطبه لسان ألهجا [1]

وبعدهـذا الـتطواف في غـرض المـديح فإننـي ألحـظ أنهـذا الموضـوع الـشعري قـد اسـتحوذ علـىأغلب ما خلفه شاعرنا منشعر، وكانت أبرز اتجاهاته تكمن في الآتي :

أ - المـديح المـتجه إلـى ولاة أمرهذه البلاد، وممن خصـهم بالمديح الملك سعود ابن عبد العزيز، والملك فيصل بن عبدالعزيز وامتدح فيهما الفـضائل المعـنوية مـن كـرم، وعراقة نسب، وذكاء، وحكمة ،وعدل، وغيـرذلـك.

ب - مـا خـص بـه صـديقه الحمـيم الـشاعر أحمـد بن إبراهيم الغزاوي من مديح أسـماه بـ"الغـزاويات " نـسبة إلـى الممـدوح ، وقد اتجه المديح -هنا- إلى شـاعرية الغـزاوي ؛ إذتغنـــى بـــشعره الرصـين، وأسـلوبه الجـزل، ونهجـه المحـافظ، ورأى في ذلـك المـنهج حفاظـا علـى لغـة العـرب، وشـعرها الرصين، وذائقتها السوية .

ج - كمـاكـان لأصـدقاء أبـي تـراب، ومـن أعجـب بهم من أهل العلم والفكر والـثقافة نـصيب مـن تلـك الممـادح، وتفاوتـت معانـي المديح هنا إذ كـان يخلـع على كل ممدوح ما يستحقه من ثناء، فالعالم يمدحه بعلمه، والشاعر بشاعريته ، والناقد ببراعة نقده ، وهكذا .

د - كما ضرب أبو تراب بسهم وافر في المديح النبوي أسوة بغيره من الشعراء، واتخذ من هذا اللون قنطرة للتشكي والتحسر من كثرة الذنوب، والتضرع إلـى الله أنيكـون محفـولا بالـشفاعة من أفضل الرسل – عليه الصلاة والسلام [2].

---

[1] الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، إبراهيم فوزان، 266/1

[2] الإثنينية، 280/2

ب – شعر الرثاء:

غرض الرثاء معدود من أشرف الأغراض الشعرية. ويبدو أن عزلة أبي تراب التي قضاها مدة من عمره، وسمة الالتزام التي عرف بها جعلت من الموت هاجسا يتردد في أدبه الشعري والنثري، ومثل أمام هذا الهاجس المقلق بضعف ظاهر، ووجل كبير، وتأمل عميق، وعاطفة ملؤها التحسر والندم على التفريط في سالف الأيام ، ويترقب أبو تراب الموت بين الفينة والأخرى ، ويدعو إلى الاستعداد لطالعه. لقد أدتهذه النظرة الوجلة إلى إحساس مرهف ، وشعور غائر الحزن تجاه تجارب الفقد التي عانى منها، وأول ما يواجهنا من تلك التجارب المريرة فقد أبي تراب أمه عام 1409هـ ؛ إذ كان فقدها مصابا جللا في حياته ورثاها بقصيدة طويلة يقول منها:

أماه مثواك ينشق الفؤاد له هؤلاء إذا زرت إمساء وإصباحا

يا عين جودي على قبـــر إخالك اليـوم في مبكاك مشحاحا

فإن رحلت فكالغيث الذي عنا سجاياه إمراعا وممتـــــاحا

هاضت معاضدنا جنـت والرزء ينكأ في الأحشاء أجراحا [1]

إن المتأمل في هذه القصيدة ليدرك مبلغ الحزن والأسى الذي حل بشاعرنا عندما فقد أمه، فكان الندب الذي يصور وقع المصاب علىالشاعر مسيطرا على أجواء القصيدة، واستطاع شاعرنا أن يعكس تلك الخلجاتالحزينة، والأنات الموجعة، والدموع الغزيرة التي نكأها هذا الجرح الغائر، حين صور فقده لأمه بولد الناقة الذيفطم عن رضاعها، واستزاد عينيه من الدموع التي لا تشح في مثل هذا الموقف الذي تتفطر فيه الأكباد، وتذهل فيه الألباب . وامتزج الندب الذي تردد في القصيدة بالتأبين الذي يعمد فيه الشاعر إلى تعداد محاسن الميت، وذكر مزاياه ولعل المنقبة التي سعى الشاعر إلى تكريسها، والتأكيد عليها هي سمة حسن التربية، وإعداد الأبناء، ويستحضرفي هذا المقام معاناة أمه في التربية، وسهرها الطويل في سبيل راحة أبنائها، ورحمتهابهم، كما يستذكر شاعرنا صفة أخرى لأمه وهي سمة الصبر على شظف العيش، وقلة ذاتاليد التي تقلبت فيها سنوات طويلة من عمرها واستذكار مناقب أمه يزيد حرارة الأسى ، فلا يجد شاعرنا مخرجا من الضيق الذي يعانيه إلا الأوبة إلى المولى الكريم - سبحانه وتعالى -واستشعار قضائه وتقديره، والدعاء لأمه بالرحمة والمغفرة.

وتقف نشأة أبي تراب العلمية ، وتقلبه في بيئات علمية مختلفة وراء تقديره للعلماء ، والإشادة بهم ، والتأثر الشديد لفقدهم، إذ إن فقد العالم في نظر شاعرنا كالركن المتهدم، وهو مصاب عظيم، يطير منه اللب، وتحارمن وقعه النفس، وهذا ما نلحظه في رثائه للشيخ العالم

[1] ديوان بث الكث في الغث والرث (مخطوط).

عبداللطيف بن إبراهيم آل‌الشيخ بقصيدته الطويلة الموسومة بـ "قد كان في الأصقاع عنوانا لنا":

مــن ذا الذي أشجى الصدور	وأطار ألبابا وأجرى الأعينا
وأقض مضجع من له متودد	في حسن سيرته فكان الأبينا
هـــاج البــكاء وطال أنينه	والدمع في تحداره ما قد أنى
انهــد ركن للعلوم وإنـــه	نأى فمــن للرأب يأتي أيمنا [1]

يعكس شاعرنا في هذه الأبيات مشاعر الحزن والألم التي عاناها من فراق هذا العالم، فالصدر ضائق، واللب حائر، والعين دامعة، والأنين متواصل، ثم تأتي زفرة الشاعر حين نادى المرثي باسمه "عبداللطيف " ليعبر عن حيرته، وتلجلج الخبر في نفسه، ثم يقر بتلك الحقيقة المرة حين وصف رحيله بالركن المتهدم، وأنى لرأب تلك الثلمة ، وسد ذاك الصدع في جدار العلم، والدعوة.

ج – شعر الشكوى:

قد عانى بعض أدباء الحجاز من قسوة الحياة الفردية، أو الجماعية مما حدا ببعضهم أن يبحث عن متنفس يخفف به عن منغصات الحياة، ومكدرات الفكر، ورفع الشك والحيرة التي تعتلج في صدورهم ؛ فالتجؤوا إلى الشكوى يجأرون بها ؛ لإصلاح مجتمعهم وأمتهم. وشاعرنا واحد من الشعراء الشاكين ؛ فقد مر بتجارب مريرة أذكت جذوة هذا الغرض الشعري، ويحسن بي أن أقف مع بعض معززات هذاالغرض :

أ ـ العزلة: التي عاناها شاعرنا، وخاصة في آخر حياته ، يقول الأستاذ علوي الصافي واصفا أبا تراب : "كانبسيطا، حين تراه تتصور أنه قادم من زمن آخر ، لا يغشى المجالس الاجتماعية كثيرا ،يقضي الأيام الطويلة في مكتبته داخل منزله المتواضع الذي كان يضيق بالكتب. " [2]

وقد ذكر ابنه الوحيد محمدأن والده كان يعيش وحيدافي منزله، وعانى من قلة الزائرين في العامين الأخيرين من حياته ، ولم يغش منزله أديب أو صديق ، وكانت المكالمات الهاتفية هي الوسيلة الوحيدة لتواصل بعضهم، وقد أشار شاعرنا إلى هذه العزلة حين قال:

---

[1] مجلة "المنهل"، ج 2، فبراير 1975 م ، ص 81

[2] أبو تراب الظاهري العالم الموسوعة أو سيبويه العصر، علوي الصافي، ص12

سعد الناس بالإخلاء دوني فأنا عن أحبتي معزول

ب - الغربة : يقول أبو تراب:

لبثت شهورا والديارات وفي النفس أنات وأنى لها

إنالمتأمل في حياة شاعرنا ليلمس مصادر متفرقة للغربة، فهو من بلاد الهند، وعاش شيئا من حياته فيها، ثم انتقل إلى الحجاز، فكان مغتربا في فكره عن أغلب معاصريه؛ إذإنه ينزع إلى الاغتراف من كتب التراث،ويستلذ بحفظ شواردااللغة، فكان رجلا نادرا يمثلبمقدرته آخر نموذج للرواة الذين تحدثنا عنهم كتب التراث.

ثم التحق بالصحافة والصحفي في غربة متنوعة بتأثير المقالات ذات المفارقة المتباعدة، يضافإلى ذلك الغربة الروحية الناتجة من انطوائية الشاعر ؛ إذ إن الشاعر الانطوائي يدفعه شعوره المرهف بظلم المجتمع ، وقيود الحياة إلى اعتزال الناس، والاستغراق في التفكير في حدود الذات، وهو ينشد مثالا خاصا لا يتحقق فتتسع الهوة بينه وبينالواقع، ويزداد إحساسه بالغربة الروحية، ويظل في صراع مرير بين مشاعره الخاصة ، وبين محيطه الذي يعيش فيه [1].

ج – الفقر: عانى شاعرنا منقسوة الفقر، ومع اعترافه بذلك إلا أنه يدافع آلامه بتسلية نفسه، وتحوير بؤسه إلى رمز للعظمة ، ودليل على البزوغ ، فيرى أن الفقر ملازم للعظماء.

د- الأحداث السياسية المؤلمة التي شهدها العالم الإسلامي والعربي ، وما حل بالأمةمن نكبات متوالية ، وهزائممتتابعة فليس غريبا أن يتولد من هذا الوضع المأساوي شعور بالحزن يغمر الناس بعامة، والشعراء بشكل خاص، فكم لمس الشعراء هذه المأساة بالتصريح حينا، وبالرموز والإيحاءات حينا آخر. لقد وقفتهذه الأسباب وغيرها وراء مشاعر الشكوى والألم التي لمستها في شعر أديبنا أبي تراب ، وكان يعرضها بشكل يتوافق مع طبيعة الهم ، وعمق الجرح .

من مظاهر الشكوى عند شاعرنا مابثه من ألم وتحسر تجاه قضايا أمته الإسلامية والعربية، فهو يتذمر من التناحر والفرقة ، والتخاذل عن نصرة القضايا الإسلامية والعربية ، ويرجع إلى تقليب صفحات الضياءالمشرقة التي ساد فيها المسلمون العالم، وملؤوا أرجاءه بالعدل والسلام ، تأمل ما قاله الشاعر في قصيدته الطويلة "الوحدة الإسلامية الكبرى " التي شخص فيها الواقع، وشكاالحال، واستنهضالهمم، فكان مما قاله:

أي عز وقد أذقتم خسارا وغدا الحق منكم مغصوبا

[1] التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، عبد الله عبد الجبار، نشر جامعة الدول العربية، 1959م ، ص 78

اذكروا شوكة الجدود أقاموا طنب المجد ملكـهم تطنيـبا

لهف نفسي ونحـــــن نرجو فمتى ينفض النيام لغـــوبا

أيـــــن يا ملة الحنيف كتاب يرشد العقل لم يكن مكذوبا [1]

د - شعر العتاب:

يعـد العـتاب مـرحلة بالغـة الدقـة فـي علاقـات الأصـدقاء ، فـبه تـصفو الـنفوس ، وتـستل الـضغائن، وتمحـى الهفوات.

وشـاعرنا عـاش فـي إقليم الحجـاز الـذي اتـسم بمتانة العلاقات الاجتماعية، وزوال الفـوارق الإقليمـية؛ جـراء اقتراب أهله من الكعبة المشرفة رمز الوحدة الإسـلامية ، ومهـوى أفئدة المـسلمين، فكـان أثـر تلك العلاقات باديا على أدباء الحجـاز؛ إذ سـاد الـود والـتآلف بـين أهلـه،علـى رغم اختلاف بعض وجهاتالنظر بينـهم، فانتـشرت بينـهم المجـالس الفكـرية، والمسامرات الأدبـية، والزيارات المتبادلة، فكانالعامل الاجتماعي من العناصر المؤثرة في الحركةالأدبية في ذلك الإقليم.

وشاعرنا عـاش مـدة مـن حـياته يـرفل بعلاقـات حميمة مـع أدباء الحجـاز والمملكـة المعـدودين الـيوم مـن أدبـاء الجيل الأول ، فكان كثيرا ما يسلو بهم ، ويبـتهج بـرؤيتهم ، ويـأنس بمطارحـاتهم الفكرية والأدبية، وإذا ما خدشت تلك العلاقـة بقلـة الـزيارة، أوبعـد المقـام، أوسـعي الوشاة هاجت مشاعر أبي تراب المـرهفة؛ بحـثا عـن سـبب الـنأي، واسـتعطافالـصديق، والـرجوع إلـى تقليب الذكريات الماضية، واستجلاب أيام الصفاء والوصل .

وأول مـن يلقانـا مـن أصـدقاء الشاعر المعاتبين شاعر الحجاز أحمدبن إبراهيم الغزاوي ، أحد المقربين إلى نفس شاعرنا، ومن الملازمين لجلسة "الداودية " التي كانـت تعقـد يـومالجمعـة مـن كل أسبوع في بيت أبي تراب بمكة المكرمة ، فـإذا مـا انقطـع الغـزاوي عـنذلك المنتدى الأدبي أرسل شاعرنا قصيدة يعاتبه فيها علـى الانقطـاع، ويـبدو فيها اللين والاستعطاف، الموحي بعمق الأخوة ، ومتانة الصداقة بينهما، ومماقاله :

أتجزي عن مودتنا ابتعادا وقد كنا إلى النجوى عطاشا

وقالوا قد جفوت فقلت كلا فمـــــا من دأبه هذا وحاشا

أدافع عنك في ملأ وقلبي يـــــؤرقه ارتياب ما تلاشى

[1] نفس المصدر السابق

فلا أدري أتزهد في التقاء بشخصي حيث إني لا أماشى

أم اخترت الصدود فلا ترانا لترشف عذب منطقك انتعاشا

ومن اللافت للنظر في مضمون هذا الغرض وضوح معانيه ، وصدق مضامينه ، ونبض عاطفته الدفاقة ؛ إذ إنه ينبثق من نفس عانت تجربة حية للبعد والفراق ، وتألمت من آثارها ، فبدا أثرها عميقا فينفسه التي لم تتردد في الاستجابة العفوية لما أملاه إحساسه ، وهذا يقودنا إلى مظهر العفوية والوضوح الذي ظهر جليا في مضمون هذا الغرض ، وهو مظهر وجد في أدب العتاب منذ القديم ، يقول ابن العميد : "ما عاتبت أحدا إلا بلسان يخرج عن طبع صحيح ، وقلب نصيح ، وفؤاد سجيح"[1].

وعتاب أبي تراب يمتزج باللين والاستعطاف، وإثارة الذكريات الماضية المتسمة بالود والصفاء ؛ رغبة منه في استمالة صاحبه، واستلال ما في نفسه من ضغينة وغضب، وربما قسا في عتابه، لكنها قسوة المحب، يقول في عتابه لجريدة المدينة، مخاطبا الأستاذين علي وعثمان حافظ :

عليهما لي عتاب إن قسا فله حق فذاك دليل الحب

إن هذا اللون الشعري ليكشف عن صورة من صور الترابط الاجتماعيالتي سادت إقليم الحجاز، وهي تكشف عن عمق علاقات الأدباء والمفكرين، وحرصهم على التقارب، والإفادة من بعضهم ، وفي تقديري أنهذا التآلف من أبرز عوامل التأثير في ازدهار الحركة الأدبية هناك .

كما أن المعاتبات تمثل صورة من صور سمو العواطف، فتملي علينا ميلا إلى حب الخير، واستلال الضغائن ، ودعوة إلى عدم القطيعة والصفح عن المخطئ، وسعيا دؤوبا إلى ترابط المجتمع ، وهذه سمة تؤكد سمو الأفكار عند شاعرنا [2].

---

[1] الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي ، ص 186

[2] التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، عبد الله عبد الجبار، نشر جامعة الدول العربية، 1959م ، ص 89

الفصل الثاني:

خصائص شعر أبي تراب الفنية

أ – بناء القصيدة:

نسلط الضوء على عنوانات القصائد، والمطلع والخاتمة التي تتكون منها القصيدة:

1 – العنوانات

لم يكن اتخاذ العنوان في القصيدة قاعدة مألوفة عند الشعراء في القديم، لكن الأمور تبدلت في العصر الحديث، وأصبح الشاعر يخاطب ذوق القارئ بعد أن كان يخاطب سمعه، والمفارقة بادية بين النص المكتوب، والآخر المطروح في الهواء،ولذا أصبح العنوان في القصيدة، أوالمقطوعة الشعرية قاعدة أساسا من قواعد الإبداع الشعري، ومثل جزءا عضويا مهما في العملية الشعرية .

ومنذ العنوان تبدأ القصيدة في إرسال ومضاتها التي ستقودنا بحركة استباقية إلى ما سيكون عليه النص ، وهو يتجه نحو بؤرة دلالية تهيمن على تشكله، تسهم بعمق في توجيه حركته السردية والتركيبة والإيقاعية، وقدشبه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا العنوان بالثريا التي تحتل بعدا مكانيا مرتفعا له إشعاع على أجزاء النص الأخرى[1].

لقد كان اهتمام النقاد المعاصرين بدراسة عنوان القصيدة حافزا لي أن أتتبعهذه الظاهرة في شعر أبي تراب .

إذا تأملت عنوانات قصائد أبي تراب فإن أول ما يستوقفك ظاهرة **العنوان الاقتباسي**. إذ يعمد فيه إلى اقتباس شطر من أبياته ؛ ليعنون به القصيدة، كما في قصيدته التي مدح فيه الملك سعود بن عبدالعزيز وعنوانها: "قدكان في الأصقاع عنوانا لنا" أخذه من الشطر الثاني من البيت الأخير في القصيدة.

ولا ريب أن اقتباس العنوان من بيتكامل ينافي فكرة التركيز والتكثيف المعدودة من أهم سمات العنوان، إضافة إلى فقدانه سمة الإيحاء والإثارة التي تجذب انتباه المتلقي، وتفتح شهيته لقراءة النص. وعنوان القصيدة عند شاعرنا رسالة منه إلى القارئ.

---

[1] العنوان في الأدب العربي - النشأة والتطور، د. محمد عويس، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص275-278

ويأتـي العـنوان عـند شـاعرنا - أحـيانا - مباشـرا وصـريحا للدلالـة علـى مضمون النص، فتشعر بعدم إعمال ذهن الشاعرفيه، وبسرعة وضعه، فيفتقد سمة "تحية للملكسعود"، "تحية أبي الإيحـاء والإثـارة" ، مـن مـثل هذه العنوانات: "عبدالرحمن الظاهري" و"عتاب" و"رثاءمدينة".

ومـن هـذا العـرض يتبـين الـتفاوت الظاهـر بـين عـنوانات شاعرنا ما بين الاهـتمام بـتجويدها، والـسعي الدؤوب إلى إثارة المتلقي، وجذبه لقراءة النص، وبـين حالـة أخرى يضع فيها عنوانا مباشرا لمضمون القصيدة، أويطول العنوان فـيفقد حيويته وإيحاءاته، فلا يستوقف القارئ، وإنما يشعره بسرعة وضعه، وضعف أدبيته.

2 – المطلع والخاتمة:

أ – المطلع:

حض النقاد القدامى على العناية بمطلع القصيدة،والاهتمام بالإجادة في الاسـتهلال؛ ذلـك أن المطلـعهـو أول مـا يقـرع الأذن، ويصافح الذهن، فإذا كانـت حالـه علـى الـضد مجـه السمع، وزجه القلب، ونبت عنه النفس، والشاعر الحاذق في نظرهم هو من يجيد الابتداء، ويحسن الاستهلال. ولـم يغفـل الـنقاد المعاصـرون عن أهمية المطلع ، فالشاعر شفيق جبري يـرى أن مطلـع القـصيدة هـو مفـتاحها، فـإذا وقـع فـي يـد الـشاعرهجـم على موضوعه، وهداه إلى مراده. ويـصف أحـد الباحثـين اسـتهلال القـصيدة بأنه عنصر توصيلي، وظيفته ربـط الـشاعر بالمتلقـي؛ إذ يرتكز عليه بناء النصكله، بل هو حجر الأساس الذي يقـوم البـناء علـيه، فـإذا انهـدم انهـدم البـناء كلـه وهـو عنـصر بنائـي للـنص بأكملـه، ووظيفـته نصية أساسا؛ لأنه القالب الذي تصبح أبيات القصيدة مجبرة على الخضوع لقوانينه، وبذلك يتحول إلى عقد بين الشاعر والسامع [1] .

ومـن خـلال إمعـان النظر في مطلع القصيدة عند شاعرنا، أجد تفاوتا ظاهرا فـي اسـتهلاله، فأجـود المطالـع مـا أشـع بمضمون القصيدة، وأنار الطريق أمام القارئ؛ ليعرف وجهتها الدلالية، وكشف عن طيات العاطفة والأحاسيس التي نبـضت بهـا القـصيدة، وهـذا مـا اصـطلح علـيه البلاغـيون، وسـموه بـ: (بـراعة الاستهلال)، ويتبدى هذا عندما تقترن القصيدة بالعواطف الرقيقة التي تنـبض بمـشاعر الحزن، وفيض الألم، فيجد شاعرنا في مستهل قصيدته فرصة لـبث أول شـحنة عاطفية، وتفـريغ ما اكتظت به نفسه من هموم متراكمة، فيأتـي المطلـع محمـلا بـدفقات عاطفـية معبـرة.

[1] الإثنينية، ج 2، ص 387-388

تأمـلهـذا مـثلا فـي مطلـع قصيدته آهة الحزين:

كيف تقلي محبك المستهاما بعد أن ذاب فيك وجدا وهاما

وقوله في قصيدة أخرى:

زاد الهيام وهاج فرط وتفرحت بدموعهن جفوني

وقوله مخاكبا الغزاوي:

أيا محرز الشعر السباق على البعد أرعاك دون الرفاق

وقوله في مطلع رثاء الشيخ عبد اللطيف:

قف بالخشوع على الحديث وقل السلام على الكريم [1]

ب – الخاتمة:

خاتمـة القـصيدة هي آخر ما يعلق في نفس المتلقي، ويقرع أذنيه، ومن هـنا فقد عنـي بهـا الـنقاد، وأطلقـوا علـى جـيدها مـصطلحات مـنها: حـسن الانـتهاء وبـراعةالمقطـع.

وأبـرزمعاييـر جودة الخاتمة تناسبها مع غرض القصيدة، وهذا ما ألفيته عند شـاعرنا فـي شـطر مـن قـصائده،مـن ذلـك مثلا خاتمة قصيدته التي مدح فيها الملك سعود وتسربلت بأسلوب جزل رصين يلائم مقام المدح ، حيث قال:

وعشت أبا فهد لنا خير قائد يصون حمانا في سلام وسؤدد

ويحـرص الـشاعر المجـيد أن يكـون خـتامه قفـلا، كمـا كـان مطلعـه مفتاحا ؛إذ إن أحـسن الانـتهاءات مـا آذن بانـتهاء الكـلام ، ولـذلك يعاب الشاعر الذي يقطع قصيدته، والنفس تنتظرمنه المزيد، وقد نجح شاعرنا فـي إشـعار المتلقي بانتهاء القصيدته في أغلبشعره، ولم ينجح في إيقاف دفقاتـه الـشعورية المتـتابعة فـي أحيان أخـر ، فـيقف المتلقـي منتظـرا من

[1] نفس المصدر السابق

الشاعر قولا غير الذي وقف عليه، كما في ختامه لقصيدة قالهابمناسبة رحيل أحد أصدقائه الأعزاء:

عقاقيل السقام أثرن شجوا وجددن القروح وكن زالت

وإذا كانت الخاتمة هي آخر ما يعلقفي ذهن المتلقي، فيجب أن يكون لفظها مستعذبا، وتأليفها جيدا، بل رأى بعضالنقاد أنيكون قفل القصيدة أجود أبياتها، وعلى النقيض من ذلك فإن التعقيد اللفظي ، والتكلف فيالصنعة يبقي أثرا سلبيا لدى المتلقي[1].

3 – الوحدة الموضوعية:

فقدت أغلب قصائد أبي تراب وحدتها الموضوعية ، وجاءت القصيدة الواحدة متضمنة لفيفا من المضامين المختلفة، والموضوعات المتفرقة، ويتجلى فقدان القصيدة لوحدتها الموضوعية - غالبا - فيالقصائد الطويلة، كقصيدته هواتف الضمير التي بلغت أبياتها مئة وتسعين بيتا، وحوت رثاء للنفس، وعتابا، وشكوى، وظهر في جنباتها وصف للجنة، والنار، وغيرذلك من المضامين المختلفة التي نبعت من شعور بالغربة والحزن، ودنو للأجل، فانعكس ذلك على تطويف الشاعرفيمضامين متفرقة .

وفي قصيدة الوحدة الإسلامية الكبرى يبث شاعرنا شكواه من واقع أمته، التي دب فيها داء الفرقة والتنابذ، وراح شاعرنا يشخص الداء، ويبحث عن الدواء، في رحلة استدعت صفحات من تاريخ الأمة الإسلامية، واستحضار مواقف متفرقة من السيرة النبوية، يصلح كل موقف منها أن يكون قطعة شعرية مستقلة [2].

ب – اللغة :

1 – بين الغريب والمألوف

لأهمية اللفظة في عملية البناء الأدبي فقد وضع النقاد معايير لجودتها ، وأطبق جمهرة منهم على الحوشية الغريبة . وشاعرنا أبو تراب عالم لغويعميق، التهم كتب اللغة والتراث، وأكب على المعاجم اللغوية يحفظها، حتىحفظ منها زهاء أربعين ألف مادة لغوية، فلا عجب أن يغرم بالغريب، وأن يكون استخدامه لشوارده عفو الخاطر، وطوع السجية، ومما يثبت أن الغريب

[1] أبو تراب الظاهري العالم الموسوعة ، أبراهيم فوزان ، ص 56

[2] مقالة "أبو تراب شيخعلماء اللغة" ، جريدة "عكاظ"

يـنداح مـن سـجيته مـن دون عـناء للوصـول إليه إجاباتـه الـسريعة فـي المقـابلات الإعلامـية التـي يـنطق بهـا مـنفوره، وعلى سـجيته من دون استعدادلها ، فتحمل في طياتها ألفاظا لا يدركها أبناء عصره إلا بالتنقيب عنها في المعاجم اللغوية ، تأمل لهذه الإجابة التي قالها ردا على من سأله عن أجملالشعر ، فقال علىالبديهة : أجملالشعر ما ولج القلب من غير استئذان [1].

ويـصرح شاعرنا بأن الغريب يجري على لسانه، وعفو خاطره في رسالة بعث بهـا إلـى صـديقه الـشاعر الغـزاوي، وذكـر أن الـسر فـي وفـرة الغريب انشغاله بعلمهـا مـدةطـويلة، فبقـي فـي حافظتي منها ما بقي، وضاع منه شيء كثيرآسف عليه.

إناستخدام أبـي تـراب لغـريب الألفـاظ يمـثل قـناعة قابعـة فـيأعمـاق نفسه؛ فهـو يتذمر من واقع أبناء عصره، ويتأسى علىواقعهم، ويفصح عن إصـراره علـىهـذا المـنهج. لقـد ظهر انعكاس العمق اللغوي لشاعرنا على لغته الشعرية، التي تسربلت بألفـاظ غـريبة، لا يـستطيع المتلقـي وعيها إلا بالتنقيب عـنها فـي المعـاجم اللغـوية، كلفظـة فـدم التـي جـاءت فـي قـوله مخاطـبا المربـي عـثمان الصالح:

لا تلين القناة منك إذا ما جاء فدم اللسان شيئا فريا

وأغلـب الألفـاظ التـي اسـتخدمها الـشاعر من الألفاظ المستعملة عند العرب قـديما ، التي لم تعد مستخدمة فيالعصر الحديث، وهذا اللون وضعه ابن الأثير من الغريب الذيلايعاب ، ولا يعد حوشيا، وهوما جرىعلى لسان صاحبنا من غيـر كـد، أو إعمـال ذهـن مـنه فـي الغالـب، وأمثلـته كثيـرة، مـنها لفظـة عقابيل في قوله:

عقابيل السقام أثرن شجوا وجددن القروح وكن زالت

وكلمة الدأماء في قوله:

أصبحت كلي في انتظار بيني وبين لقائها الدأماء

وإذا كـان شـاعرنا مـن المغـرمين باسـتخدام الغـريب فـي شـعره ، فـإنهذا الحكـم لا ينطـبق علـيه جملـة واحـدة ، فقد وجـدت فـي شـعره نمـاذج ليـست بقلـيلة تنساب لغتها بوضوح وألفة، وتبدو ألفاظها ذات إيحاء شاعري جميل ، ولعل أبرزتجليات الوضوح والألفةعند شاعرنا تكمن في مظهرين،هما:

[1] دراسة في شعر أبي تراب الظاهري، عبد الكريم عبد الله ، مطابع الفرزدق، الرياض، 2009م ، ص 47

الأول: الشعر الوجداني: وقد عرف هذا اللون الشعريعبر العصور بلغته العذبة ، وألفاظه السهلة المألوفة، ولك أن تتمعن فيهذه الأبيات التي تنتفض من قلق الألفاظ الغريبة، وتترقرق بألفاظ عذبة موحية ، وتكون سياقا واضحا ،أعرض بيتين من قصيدة له طويلة هي مثال لهذا النوع:

ولـــه خـد أسيـــل وشفاه هي حـــلوة

لو رأى العادل يوما وكلانا وسط حـــلوة

الثاني: الألفاظ القرآنية: المتوشحة بإشعاع ديني مألوف، فشاعرنا عميق بألفاظ القرآن، ودلالاتها. من ذلك لفظة عروة وفصام في البيت التالي:

عروة العهد ما لها من انفصام في وفائي فليس عنك بديل

ومن خلال دراسة لظاهرة الغرابة والألفة في شعر أبي تراب يتضح لنا جريان الألفاظ الغريبة على لسانه عفو الخاطر، وطوع البديهة من دون التكلف في استجلابها - غالبا - وقد استطاع أن يحسن توظيفها حينا، ولم يوفق في أحيانأخر، فأسدل حجابا صفيقا بينه وبينالمتلقي[1].

2 – بين الرقة والجزالة:

يبدو أن معالجة ابن الأثير لمعيار الجزالة والرقة هي الأميز بين المعالجات النقدية عبر العصور؛ إذ إنه وضع معيارا واضحاودقيقا يدلف الناقد من خلاله إلى عباب النص، فهو يربط جزالة الألفاظ ورقتها بمضمون النص، ويلح على انعكاسالمضمون على لغة القصيدة، يقول ابن الأثير : "الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى: جزلة ورقيقة، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب، وقوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك، أما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق، وذكر أيام البعاد، واستجلاب المودات، وملاينات الاستعطاف، وأشباه ذلك"[2].

وحين أتتبع ظاهرة الجزالة والرقة عند شاعرنا أجده لايعدو - غالبا - ما استظهره ابن الأثير في شعر الشعراء السابقين ، إذ تظهر جزالة الألفاظ في مواطن المدح، وخاصة مدحه للملوك، وفي الأغراض الحماسية ، وأمثلة هذا اللون يطول ذكرها، ومنها قصيدته التي قالها مادحا الملك سعود بمناسبة ذكرى توليه الحكم، ومنها قوله:

---

[1] نفس المصدر ، ص 75

[2] التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث، د. طلعت صبح السيد -. ط 1 ، -. دار عبدالعزيز آل حسين، 1999 م، ص 167

وإذا تأزمت الأمور فإنه يسعى إليه وتضرب الآباط

يعطي فيستبق الألى نحو كي لا يكون لجوده إسخاط

ويلاعب الأسياف وهي بواتر وكأنها في قبضتيه سياط [1]

3 – المعجم والتكرار:

أ – المعجم

المعجم وسيلة ناجحة للتمييز بين أنواع الخطاب ولغات الشعراء والعصور فلكل خطاب معجمه الشعري الخاص. وعندما ندرس المعجم الشعري لشعر أبي تراب فننظر إلى معجمه من زاويتين:

الزاوية الأولى: المعجم التركيبي الذي يقوم على فحص الخواص الأسلوبية للشاعر ومعرفة تراثه اللغوي وتمييز شخصيته الأسلوبية[2].

الزاوية الثنية : المعجم الدلالي والمراد به تفسيرات تتكرر للألفاظ والأساليب المنتمية غلى حقل دلالي واحد، ونستطيع من خلال الحقول الدلالية الوصول إلى الأفكار المهيمنة، والعواطف المسيطرة . وبعد إمعان النظر في شعر أبي تراب أجد أن أبرز الحقول الدلالية تكمن في الآتي:

1- المعجم الديني وهذا في صورة المعجم القرآني ومعجم الألفاظ والأساليب الدينية.

2 – معجم الشكوى والتوله

3- المعجم التراثي بما فيه كتب التراث

4 – المعجم العلمي وهو الفاظ وعبارات علمية محضة .

5 – معجم الأعلام [3]

---

[1] دراسة في شعر أبي تراب الظاهري، عبد الكريم عبد الله ، مطابع الفرزدق، الرياض، 2009م ، ص 98

[2] نفس المصدر السابق، ص 79

[3] التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث، د. طلعت صبح السيد ، ص 168

ب – التكرار

قد يكون التكرار عبئا على النص ولونا من التكلف، ولكن عند أبي تراب التفاوت الفني ملحوظ في شعره. وأبرز ملامح التكرار تئهر عنده فيما يلي:

1 – تكرار الحروف ، مثلا تكرار حرف النداء في شعره:

فيا منقذ الغرقى ، ويا دافع ويا منجي الهلكى تحنن

2- تكرار الكلمة ، مثلا تكرار عبد اللطيف في شعره:

عبد اللطيف وكنت ركنا والحزن بعد لا يريح الجوشنا

عبد اللطيف تبـــوأن فتكون من بعـــــد السكون

3 – تكرار الصيغ والتراكيب

4 – التكرار البديعي ، ومن أبرز مظاهر التكرار البديعي عندأبي تراب :

أ – التصريع

ب – الجناس

ج – المراجعة [1]

ج – الصورة الفنية :

أدرك النقاد منذ القدم مكانة الصورة في العمل الإبداعي، وأفردوا لها حيزا واضحا من دراساتهم، واعتمدوا هذا العنصر الفني حدا مهما لتقويم الشعراء، ومقياس شاعريتهم. إن الصورة الفنية تمثل الخاصية الأساسية للغة الشعر والجسر الـذي يـصلالمتلقـي بالقصيدة، والجـناح الـذي يحملـه، ويـرتفع بـه للالـتحام بعوالمها كما أنها الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة والصورة الفنية تفرض علـى المتلقي لونا من الانتباه واليقظة؛ ذلك أنهـا تبطـئ الـتقاءه بالمعنـى، وتنحـرف بـه إلـى إشـارات فرعية غير مباشرة، لا يمكن الوصول إلىالمعنى دونها

[1] نفس المصدر، ص ص 168

وشاعرنا أبو تراب يدرك أهمية الصورة الفنية في الأداءالشعري، ويقدم الخيال على اللباس اللفظي ، فهو يرى أن الإبداع يحتاج إلى المادة اللفظية من بعد الفكرة والخيال؛ ليتمكن المبدع من تحديد ملامح الصورة التي يرسمها، ومن ثم تزويقها بأطر سليمة اللحمة ؛ ليخرج النسيج محبوكا مع المعنى ، لايعتور إحكام مبناه خلل. فالصوة الفنية تشكيل جمالي تستحضرفيه لغة الإبداع الهيئة الحسية ، أو الشعورية للأجسام، أو المعاني بصياغة جديدة تمليها قدرة الشاعر، وتجربته وفق تعادلية فنية بين طرفينهما : المجاز والحقيقة، دون أن يستبد طرفبآخر تنعكس تجاربالشاعرفي حياته، ومعايشته للأحداث المختلفة، وتقلبه في الطبيعة التي تحتضنه، وما اختزنه من ثقافةوعلم علىالصورة الفنية التي يرسمها بريشة لا تغادر ذلك التراكم التركيبي المكون للخيال . ومن هنا كان لكل شاعر مزيج من الأفكار والمشاعر والعواطف حسب تكوينة الفرد الذي لا يشترك فيه أحد غيره، كالشأن في البصمات في الإنسان فلا تلتقي بصمة في إنسان مع بصمة أخرى في شخصآخر[1].

وإذا بحثت عن أهم منابع الصورة عند شاعرنا وجدتها تكمن في الآتي :

1 – الإنسان وأعضاؤه البدنية

2 – الطبيعة الصامتة

3 – الطبيعة المتحركة

4 – التكوين الديني

5 – التكوين التراثي العميق

6 – المهنة

ومن أنواع الصورة التي كثر استعمالها في شعر أبي تراب هي:

1 – الصورة المجازية ومن أبرز الصور المجازية الصورة التشبيهية والصورة الاستعارية والصورة الكنائية

2 – الصورة الحقيقية (الإيقونية)

3 – الحواس الخمس

4 – الموسيقا وهي توجد في شعر أبي تراب بنوعيها

---

[1] الإثنينية ، ج 2، ص 423

1 – الموسيقا الخارجية

2- الموسيقا الداخلية ومن أبرز المظاهر المؤثرة عند أبي تراب هي المحسنات البديعية والطباق والمقابلة والجناسورد الإعجاز على الصدور والتصريع والتكرار وقصر المقاطع[1].

[1] التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث، د. طلعت صبح السيد ، ص 176

الباب الثالث:

أبو تراب الظاهري كاتبا

الفصل الأول : موضوعات نثر أبي تراب

الفصل الثاني: خصائص نثر أبي تراب الفنية

الفصل الأول :

موضوعات نثر أبي تراب

يقر الدكتور محمد يوسف نجم بصعوبة وصوله إلى تعريف دقيق لهذا الفن، فيقول : "وإذا ذهبنا نبحث عن تعريف جامع مانع للمقالة أعيانا البحث، وضلت بنا سبله، شأننا في ذلك شأن النقاد الذين عجزوا عن أن يحيطوا هذا الفن الأدبي بتعريف دقيق؛ نظرا لتشعب أطرافه واختلاطه بالفنون الأخرى على صورة من الصور."[1] المقالة كالثقافة سهلة الدلالة، صعبة التعريف. ويبدو أن تأخر نشأة هذا الفن بالنسبة لغيره كان سببا في تأخر النقاش حوله، فاستأثرت الألوان الفنية الأخرى كالشعر والقصة والمسرحية باهتمام النقاد والدارسين بشكل صرف نظرهم عن هذا اللون الجديد نسبيا .

حاول الدكتور عطاء كفافي أن يضع عناصر رئيسة للمقالة الأدبية من أبرزها: صدق إحساس الكاتب، وأصالته، وجمال تعبيره، وقوة الإثارة، والقدرة على الإمتاع. وهذه العناصر لا تجتمع بنسب واحدة عند جميع كتاب المقالة الأدبية، فهم - بطبيعةالحال - مختلفون فيها[2].

وتطور المقالة وازدهارها مرتبط بحبل وثيق بتطور الصحف والمجلات، وفي إقليم الحجاز - الذي عاشفيه أديبنا أغلب عمره - بدأت الصحف في الظهور منذ عام 1300هـ /1883م حين صدرت صحيفة حجاز ثم استمرت في تصاعد قوي حتى تم إصدارصحيفة أم القرى عام 1343هـ فكان صدورها قد آذن ببدء عهد صحفي جديد اتسم بالاستمرار والاستقرار، وقام فيه أبناء البلاد بالدور الأكبر في ميدان العمل الصحفي صدر نظام المؤسسات الصحفية، فانبرى عدد من الأدباء والمفكرين للكتابة، متخذين من المقالة فرصة لبث إبداعهم، وسانحة لمناقشة آراء غيرهم، فشهدت الباحة الصحفية نشاطا ملحوظا، وحركة أدبية فاعلة، وأضحت الصحافة عاملامهما من العوامل الناهضة بالأدب في هذا الإقليم خاصة، وفي المملكة عامة[3].

وأديبنا أبو تراب كاتب مخضرم أسهم بقلمه في الحقبة التاريخية التي سبقت نظام المؤسسات الصحفية، والمدة التي تليها، واستمرعطاؤه إلى قبيل وفاته بستة وعشرين يوما فقط ، فجاءت

---

[1] فن المقالة ، د. محمد يوسف نجم -.ط 1 -.بيروت : دار صادر للطباعة والنشر؛ عمان :دار الشروق ، 1996م، ص 75

[2] المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث،د.عطاءكفافي -.ط 1 -. هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1405هـ/1985م، ص 9

[3] إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، د.إبراهيم الفوزان ، ص 348

مقالاتـه فـي جمهـرة ضخمة أعياني تتبعها، ومن ثم تصنيفها، فوجدت أن أبرز أنواعها يكمن في الآتي :

1- المقالة التاريخية:

تعتمد المقالة التاريخية على جمع الروايات والأخبار والحقائق وتمحيصها وتنسيقها وتفسيرها وعرضها، وللكاتب أن يتجه فيكتابتها اتجاها موضوعيا صـرفا تـتوارى فـيه شخـصيته، ولـه أن يـضفي علـيها غلالـة إنـسانية رقـيقة فيوشـيها بالقصص، ويربط بين حلقات الوقائع بخياله حتى تخرج منها سلسلة متصلة مستمرة.

ولـهذا اللـون المقالـي حـضور قـوي فـي نثـر أديبـنا، فهـو يهتبل الفرص الـزمانية؛ لإعـادة بعـض الأحـداث التأريخـية، وتذكيـر الـناس بهـا، واقتناص العبر والعظـات مـنها، ولعـل أبرز ما يطالعنا في هذا اللون المقالي الاتجاه إلى السيرة النبوية، وتناول أحداثها، والتأكيد على ما فيها من معان جليلة ، فشهر رمضان المبارك سانحة لأديبنا أن يعرض بعض أحداث السيرة النبوية الواقعة فيذلك الشهر، وهذا ماصنعه فيسلسلته المقالية الموسومة بأحداث رمضان التـي عـرض فـيها صـفحات من الأحداث النبوية، من مثل: نزول الوحي، وغزوة بـدر، وفـتح مكـة، وينـزع في بعض مقالاته إلى المنحى التأريخي البحت العامد إلى جمع الروايات، وتتبعالأحداث، ورصد الوقائع كما يذكرها أهل السير، بيد أنه آخـر مقالة كتبها في جريدة المدينة ، وعنوانها: وقفات مع لغة القرآن .

لقد أخذت المقالة التأريخية حيزا واسعا منمقالات أبي تراب، ووجه عناية خاصـة بسيرة المصطفى - صلىالله عليه وسلم - واستطاع أن ينعتق في عدد منها من صرامة الأسلوب العلمي، المعتمد على سرد الروايات، وكثرة الإحالات إلى المـصادر، وبـدا تفاعلـه مـع بعـض الأحـداث التـي كـررت نفسها ، وفي مقابل مقالاتـه التأريخـية المتدثـرة بلـباس الأدب، أجد كما من البحوث التأريخية الرصينة النادرة، التي تنتظرالمتخصصين أن يبعثوها من مرقدها[1].

2 – المقالة الدينية:

هي تلك المقالة التي يهتم صاحبها بإبراز عاطفته الدينية نحو أمر يمس العقيدة، أو يتـصل بقـضايا المجـتمع ، فيكـتب مقالـة تبـين عن رأيه فيما هو بـصدده، متـسما أسـلوبه بالـتدفق الـشاعري نحـو القـيم الدينـية، والـذب عـنها، والإخلاص لما تدفع إليه ويقـف وراء حـضور هـذا اللـون المقالـي فـي نثـر أبي تراب تدينه، وعلمه الـشرعي العمـيق، إضـافة إلـى حياته التي قضى جلها في إقليم حوى مظاهر دينية لابد أن يتحرك لها وجدانه، ويتفاعل معها إحساسه، وهذا مظهر ملحوظ عند أغلب أدباء الحجاز ؛ إذ تجلى الاتجاه الإسلامي في أدبهم، وامتلأت

[1] جريدة "البلاد" ، العدد 1324، رمضان 1376هـ.

مشاهداتهم بما يحرك هذا الاتجاه لوجود الحرمين، ولقدوم آلاف الحجاج لتأدية فريضة الحج[1].

ومن الممكن تصنيف المقالة الدينية عند أبي تراب إلى الاتجاهات الآتية :

أ – الاتجاه الوعظي:

مثلت مقالات أبي تراب الوعظية قامة باسقة في نثره، وخلع عليهامن فيض عاطفته الرقيقة ما جعلها تحرك النفوس، وتؤثر في المتلقين، وتلونت تلك المواعظ بين حديث عن حقيقة الدنيا، وبهارجها الزائفة، وحديث عن مصير الموت، والدعوة إلى التوبة، واستغلال مواسم الطاعات، كما ألهب سياطه تجاه النفس الأمارة بالسوء، والإخباتإلىالهوى، ورغب في طريق الجنة ، ورهب من سبيل النار، وهذه المواعظ ساقها كاتبنا بشكل جليفي سلسلته الموسومة بمواعظ رمضان و أفاويق و الأفاويق .

إن روح التحسر، ونبضات الأنين، وعاطفة الشفقة، والدعوة الملحة إلى الأخذ بروح المبادرة واستغلال الزمن من أبرز الملامح المتكررة في تلك المقالات، تأمل ذلك مثلا في قوله:

"إن صوت النذير ليخز في الضمير، وإن الشاهد العدل لقد قام في الفودين ، فهل أنت منكف أم نازع ، وقد غبنت بالعاجل ، وأنت غيردارع ؟! فمالك لا تفارق أهل الضن على أنفسهم بخير الآخرة ، وهاهي ذه أبواب الجنان مفتحة لهم في رمضان "[2].

وتكثيف المواعظ يبدو في بعض مقالات أديبنا، فتجدها مزدحمة بالمواعظ المختلفة، فيدعو إلى التذكير بنعم الله، والمحاسبة الدائبة، والتوبة العاجلة، واليقين الدائم، والخشوع في الطاعة، وغيرذلك من المواعظ المبعثرة، والخواطر الإيمانية المندفعة تأمل ذلك في قوله :

"هل تفكرت في نعمة الخالق، ومدد العافية ، وبلغة الآمال، ولباس الكرامة، وقد سلب الأشرار حللها، فتضاغنوا في تدابر النفوس، ووهنوا في ذل الهلكة وأنت أبدلك الله العز ، وأنار لك المحجة فاحمد الله ذا الطول والمنن على ثبات الإيمان، وشيوع اليقين، وكن في عبادتك خاشعا ، ولا يذهبن عنك رمضان، وقد خالطته بالعصيان، وحاسب النفس إنها لأمارة بالسوء "[3].

ب – المواسم الدينية:

مثل شهر رمضان، وموسم الحج، وعيدا الفطر والأضحى أبرز المناسبات الدينية التياحتفى بها أديبنا في مقالاته، ومن أبرز ما كتبه عن هذه المناسبات مقالاته

---

[1] المقالة في الأدب السعودي الحديث، د.محمد العوين ، ص 206

[2] من سلسلة مقالات "أفاويق"، جريدة "البلاد" ، العدد 2337 ، 1386/6/29م

[3] من سلسلة مقالات "أفاويق"، جريدة "البلاد" ، العدد 2310 ، 1386/9/27م

الموسومة بطرائف رمضان ومواعظ رمضان وأسمار رمضان وبعض مقالاته في سلسلة أفاويق و الأفاويق .

ويأتي شهر رمضان في طليعة المواسم التي احتفى بها كاتبنا، ففي طلعته البهية تتبدد همومه، وتبتهج نفسه، فهو فرصة للتزود بالطاعات، والنأي عن المناهي والسيئات، يقول أبو تراب: "

كانت النفس صداء، وجاء رمضان يجلوها، وهذا أوان الزرع ،وغدا سيكون وقت الحصاد، وكم من باذر للخير في موسم العبادة يسره الورود على الحوض، فيا سعادة من فتحت له أبواب الجنة، وقبلت منه الأعمال[1].

وموسم الحج هو الموسم الديني الثاني الذي تفاعل معه أديبنا في مقالاته الدينية، ولا عجب أن يتفاعل معه، فقد عاش جل عمره في إقليم حوى مظاهر هذا الركن العظيم، والتقط من مظاهره ما يتحرك له وجدان المؤمن.

وهكذا حديث كاتبنا عن العيد حديث يرتبط بمظاهر الابتهاج والألفة، وتعزيز الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وفيه تذكير بالنعم العظيمة على أمة الإسلام ، فهو يأتي بعد ركنين من أركان الإسلام : الصوم، والحج، وفي إكمالهما نعمة عظيمة، وفرح كبير[2].

ج – الحديث عن آداب إسلامية عامة:

يتناول أبو تراب في مقالته الدينية ألوانا من الآداب الإسلامية العامة، كالتحذير من الاختلاف، والاستيصاء بالضعفاء، والدعوة إلى العمل والاكتساب وبيان خطر الاستهزاء بالدين وغير ذلك من الآداب والقضايا المهمة للمسلم.

ويتجه كاتبنا إلى المباشرة والتقريرية في أغلب هذهالمقالات؛ لأنه يخاطب المجتمع بفئاته المتفاوتة، ويحاول أن يعالج القضايا المطروحة معالجة شرعية، تقوم على التدليل والبرهنة؛ لتحظى بالقوة والقبول عند القارئ.

وأول ما يستوقفني في هذا الاتجاه مقالته التي وجهها إلى شباب الأمة الإسلامية وعنوانها شباب الإسلام، وفي مستهلها إشادة بشباب الأمة الإسلامية الذين صمدوا في وجه التيارات المارقة، والتحديات الملحدة؛ لأجل أن يحافظوا على جوهر حياتهم ثم يبدأ في تعداد الصفات التي يتغياها في هذه الفئة الغالية من المجتمع، ومنها إقامة الصلوات، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على المكاره، وعدم الخنوع، ومجانبة الزهو والاختيال، والتزام الأدب، والإخلاص في العمل، والتوبة من المعاصي، والاصطبار على الطاعة، وصدق النية، ومراقبة الحق في السر والعلن، وتقوىالله في أعمال الجوارح

---

[1] من سلسلة مقالات "أفاويق"، جريدة "البلاد" ، العدد 2388 ، 1386/9/1م

[2] الموزون والمخزون ، أبو تراب، ص 5

والقلب،والتحلي باليقين، والتسلح بالتوكل، والاستقامة في الأمور كلها، وغير ذلك من السمات الأساس في تكوين شخصية الشاب المسلم[1] .

3- المقالة الوجدانية:

هي التي يصدرفيها الكاتب من وجدانه ، ويعبر فيها عن أحاسيسه ومعاناته، ولا تخلو من بوح عاطفي، وحديث ذاتي يتسع لذكريات الأديب، وخواطره النفسية، ومعاناته في الحياة ، وهو في كل ذلك يعكس فيضا وجدانيا ، يعبر عن رؤية خاصة [2] .

إن المقالة الوجدانية تتقاطع مع القصيدة الغنائية، والفرق بينهماهو فرق في درجة الحرارة، تعلو وتتناغم فتكون قصيدة، أو تهبط فتكون مقالة أدبية، فهي حينئذ من صلب المقالة الأدبية ذات الوظيفة الشعورية، التي يعكس فيها الأديب مشاهد الطبيعة، وأحوال المجتمع، وأحداث الحياة لتتحول في رؤياه الإبداعية إلى انطباعات تتمثل في أحاسيس ووجدانيات وخواطر يعبر عنها في قالب مقالي يحفل بالعاطفة المتأزمة، وبالأسلوب الذي يحسن فيه اختيار الألفاظ، وتركيب الجمل. فالمقالة - هنا - ليست إلا تعبيرا عن النفس، وتنفيسا عنها فهي في النثرتشبه النوع الغنائي في الشعر. وأبو تراب مع صلادته في النقاش، وحدته في النقد، إلا أنه يمتلك عاطفة رقيقة، عميقة التأمل، سريعة التحسس[3].

وأول ما يواجهني من هذا اللون المقالي، تلك المقالات المحملة بالحزن والأسى تجاه فقد قريب، أوصديق عزيز ، أوعلم شامخ فيالعلم، أو رمز سامق في المجتمع ، وتبدو أكثر تلك المقالات حزنا، وأكثرها تأزما مقالته "أماه لك الجنة" التي عبرفيها عن نفسه المكلومة جراء فقد أمه، وبدأ باستدعاء موقف دفنها حين أجنت في حفرتها، وأكنت في لحدها، وانقطعت عني، وانقطعتعنها من أسباب الدنيا ، ورأت عيني هائل التراب في سوافي الرمال، وأيقن القلب هنالك بأنها اليوم ضجيعة الجنادل ، وقرى الدود[4].

ويجد في هذه المقالة فرصة للتنفيس عما ضاق به صدره من الحزن الجاثم، فيصور فقد أمه بالجبل الذي هوى، وبالقصر الذي خوى، وبالركن الذي انهد، والبنيان المنهدم، فمصاب الإنسان بأمه من الرزايا التي تذهل الألباب، وتضعضع الأبدان، وتطير القلوب أسفا، وتميت النفوس كمدا.

والعزلة التي عاشها أديبنا، وما عاناه في معترك الحياة من ظروف ومواجهات مع الآخرين، إضافة إلى عدم تقدير بعضهم لمكانته العلمية، وما وهبه الله من موسوعية، وقدرة

---

[1] جريدة "البلاد" ، العدد 8076، 1409/1/29هـ

[2] أدب المقالة ، د. عبدالعزيز شرف ، دار الشروق، ص 56

[3] نفس المصدر

[4] جريدة "البلاد"، العدد 1324، رمضان 1376هـ

عظيمة على الحفظ والفهم، هذه الظروف وغيرها كست أدبه نبرة حزينة، وتبرما واضحا، وجعل الأدب أداة للتنفيس عما تكتظ به نفسه، وريشة يرسم بها مبلغ أحزانه.
إن صدور هذه المقالات من نازع عاطفي ظاهر، وتدثرها بالمشاعر والأحاسيس، ورغبة الكاتب أن يتخفف فيها من هموم الحياة، أو يحاول إبراز مشاعر السعادة يجعلني أقول إن هذه المقالات تتقاطع بشكل جلي مع القصيدة الغنائية، التي تخبت لسلطان العواطف، وتثير شعور المتلقين، وتسجل أدق مشاعر الحياة وأعمقها من وجهة نظر الأديب[1].

4 – المقالة النقدية:

هي المقالة التي يسعى كاتبها إلى إبانة رؤاه فيمسألة أدبية، أو ما يقبله ذوقه، أو يمجه في نص إبداعي، فلا يخرج ذلك عن طبعه العفوي، وعاطفته الجياشة، مصورا ذلك في أسلوب فني متدفق كما يعرض إلى الأمور المتعلقة بكيفية التفاعل مع الأدب، وما ينبغي على الأديب أن يحققه، وما يجب عليه الالتزام به.
وتتسع المقالة النقدية عند بعض الدارسين لتسع ما يكتب في ميادين مختلفة، ومعالجات غير أدبية محضة، واستحسنت أن أتخذ من هذا الرأي مطية لي في حديثي عن هذا اللون المقالي ؛ إذ إني وجدت عند أديبنا مقالات نقدية لم يعالج فيها قضايا أدبية صرفة، وكتبت بأسلوب فني جميل فأدرجتها ضمنهذا الاتجاه الذي يتسع لنقد القضايا الأدبية وغيرها، كالاستدراكات اللغوية، والأخطاء في تحقيق بعض المسائلالعلمية ، ولم أجد مسوغا واضحا لإفرادها بحديث مستقل.
وقبل الحديث عن أبرز الاتجاهات في هذا اللون المقالي يجدربي أن أبين أن النزعة النقدية عند أبي تراب متجذرة في نفسه، ملتصقة بطبيعته. إن عمق أبي تراب العلمي، وإجلاله للمعرفة، وقدرته الفريدة على البحث والتنقيب والتحقيق، جعلته حارسا أمينا من حراس العلم، الخائفين على حماه، الذائدين عن حرمته، يغتاظ بشدة حين يتجرأ الجهال على حدوده، ويتأفف كثيرا من مذاهب المحدثين الذين وسمهم بالفلسفة، والتنكر لتراثهم العميق، وهذه الحماسة أذاقت معاصريه من المبدعين والكتاب سياطا من نقده اللاذع، وهجم عليهم بمعوله العلمي ليصوب ويستدرك، ويعلق بقدرات علمية جعلته في قمة باسقة مهابة، يتحاشاه المبدعون والمفكرون، ويخشون سطوته التي لا يريد فيها الانتصار لذاته، وإنما هو الانتصار للعلم والمعرفة والحق[2].
وإذا رجعت إلى أبرز الاتجاهات النقدية عند أديبنا أجد أهمها ما يأتي :

---

[1] أدب المقالة ، د. عبدالعزيز شرف ، دار الشروق، ص 59

[2] المقالة في الأدب السعودي الحديث، د.محمد العوين ، 310/2

أ – النقد الأدبي:

تعتمد المقالة - هنا - على قدرة الكاتب على تذوق الأثر الأدبي، ثم تعليل الأحكام وتفسيرها، وتقويم الأثر بوجهعام، وتتسع للحديث عن القضايا الأدبية والنقدية العامة، ويناقش فيها الكاتب ما يدورفي الساحة الأدبية المعاصرة. والكاتب -هنا - لابد أنيكتب طبقا لمبادئ ، لا لمجرد الهوى، فالنقد الأدبي الذي يمليه الهوى الشخصي، والكره الذاتي هو نوع وضيع من النقد، فعلى الناقد أن يكون عالما بالمثل العليافي الفكرة والعاطفة والأسلوب قبل أن يتعرض بالنقد لأي فكرة أو عاطفة أو أسلوب .

وأبو تراب أديب يصدر من التراث، وينهل من معينه، وينفر من أغلب المذاهب الحديثة في النقد والأدب، ويسخر منها، ويدعو الشباب إلى النأي عنها، والرجوع إلى كتب الأدب الرصينة؛ ليفيدوا منها ،ويتمسحوا بالإبداع المطوي فيها ، وهذا النهج الذي سلكه صاحبنا يشبه إلى حد كبير نهج الأديب أحمد عبد الغفور عطار الذي وصفه الدكتور محمد العوين بقوله : "ولأنه لا يفرط في التراث دخل معارك كثيرة مع الأدباء الشبان ، وفي السياق ذاته مع دعاة التجديد، فسخر منهم، ومن أدبهم وسماه "موضة" وتقليدا ونقصا فيالشخصية. " [1]

إن هذين الأديبين - على رغم اختلافهما - شكلا جناحي طائر يذود عن الأدب المحافظ، ويدعو بإلحاح شديد إلى محاكاة الأدب القديم، والعناية به، ونبذ التقليد الأعمى، والبعد عن الانسياق وراء ضباب المناهج الغربية ، والدعوة إلى احترام اللغة الفصيحة ، والاعتداد بها.

وأول ملمح أجده عند أديبنا في هذا الاتجاه ما كتبه عما يسمى بـ "النثير" أو "الشعر المنثور" وشن هجوما لاذعا على الداعين له، وسخر منهم، وحنق على المتخطين رسمه، فنعى في هذه الزحمة القاحلة غربة هذا الشعرالمسكين الذيسموه كلاسيكيا، لا ترام قنته، ولا يحتذى حسن نظامه إلا بعد استنزاف القوى ، واستكناه المغالق.

ويجزم بفشل تلك الدعوى، ومجافاتها للذوق السليم، والحس الشاعري، فيقول: "وأقطع بلااستثناء بأنهم لن يفلحوا ما داموا يعتقدون أن المضمون الشعري يتنافى مع لغة الوزن، إذ كيف يحصل انسجام المعنى واللفظ، ولم يحصل بينهما إيقاع وجرس، وذلكم الذي يرفضه الذوق العربي؛ لاختلال الوزن والتناسق ." [2]

ويلج في رفضهذه الدعوى أبوابا مختلفة، فيدعو إلى التمسك بالشعر العمودي، والتخلي عن التقليد، والحذر من الدعوات المارقة، فيقول : "ألا لم يبق عندكم إلا النظم العربي فدعوكم من التقليد وما يحوي، ولا تخنقوا الشعر بدعوى التحرير، فهو حر إذا جرى وراء القوافي، ورفع الحطيئة رجلا على رجل يعوي فيها كالفيصل ." [3]

---

[1] نفس المصدر السابق ، ص 425/2

[2] نفس المصدر السابق ، ص 435/2

[3] جريدة "المدينة" ، 15 /12 /1387هـ .

والسخرية اللاذعة ، والتهكم الكبير أداة لأديبنا لتوهين هذه الدعوى، فهو يـرد علـى القائلـين: "إن الموسـيقا الـشعرية مـرجعها طبـيعة البـشر، فـيقول : "هـل الطبـيعة علـى نـسق واحـد لا تعدوه، كلا، فإن العرب غير العجم ... ولو كـان المـبحث مـبحث موسـيقا وحـدها لأدرجـنا فـيها الحـيوان ؛ لأنـه موسيقي، فالـذباب شـاعر طنين ، والحمار صاحب نثر في نهيقه، ومثله الخيل إذا صـهلت، فهلا اعتبرتم ذلكم كله من الشعر المنثور . أما والله إنكم لتظلمون."[1] ويـتجه أديبـنا - أحـيانا - إلـى مقارعـة الحجج، وإبطالالدعوى بمنهجعلمي يـزاوج بـين الـنقل والعقل ، كما في مقالاته التي رد بها على الأستاذ محمد بن عبدالله المليباري حين كتب في نصرة الشعر المسمى منثورا، فانبرى أبو تراب لـه بالـرد والتفنـيد، المتوشـح بالـسخرية والـتهكم، ومـن الـردود التـي دمـغ بها المليـباري ما أورده من نفي الشعرية القاطع عن آيات القران الكريم، مع اتفاق بعـض مقاطعهـا مـع الأوزان العـربية، فـالله سـبحانه ينفـي ذلك في كتابه بقوله : "وماهو بقول شاعر" ومحال أن ينفي الله شيئا موجودا في كلامه كما أن القيود الشعرية كلها لم تتفق في شيء من كلام البارئ - سـبحانه وتعالـى - وإنمـا اتفـق بعـضها ممـا لا يـسوغ إطـلاق مـصطلح الـشعرعليه." [2]

ويلجـأ صـاحبنا فـي تـبديد هـذه المغالطـة إلـى التحذير والتخويف من زاوية دينية حين قال: "والمعتقد أن كلام الله شعر، أو هو بعض أنواعه ملحد مارق عـن الـدين بالاتفـاق، فلـيحذرالـذين يعتـنقون آراء تـستلزم كـونالقرآن ويمـضي فـي ردوده المفحمـة علـى المليـباري فـيقول : "وأثبتـنا بـسنة رسـول الله - صـلى الله عليه وسلم - بطلان ما يزعمون كما ورد في حديث أبي بكـر - رضـي الله عـنه - ممايدل على أن النبي - صلىالله عليه وسلم - لم يكن يتكلم بالشعر، فلو كان الذي وسموه بالشعرشعرا صحيحا لكان محمد - صلىالله عليه وسلم - أشـعر الـشعراء؛ إذ أوتـي جوامـع الكلـم ، ولأنــه لا يــوجد شــيء مــن المعاني أسمى، ولا أرفع من معان اقتضتها بلاغته المدهشة." [3]

وبعد أن دلل على بطلان هذه الدعوى من القرآن والسنة اتجه إلى أقوال الكهـان التـي بـدت فـيها بعض قيود الشعر، ويصدق وصفها بالشعر المنثور، ومع ذلك سماها العرب عبر العصور والأزمان بسجع الكهان.

وبعـد أن سـاق الحجـج للرد على الأستاذ المليباري يختم مناقشته بالتهكم من تلـك الدعـوى ومـن أصـحابها الـذين لم يعرفوا سبيلا واضحا يسلكونه، أومنهجا يحـتذونه، وأتـرك القـارئ مـع سياط تلـك الـسخرية، الـنابعة مـن وجـدان حانق، يقـول أبـو تـراب : "...فـلا أدري بعـد هـذا كلـه مـن أي الأحـزاب أصـحاب الشعر المنثور، هل هم من حزب الرحمن ونبيه؟! فهذا كلامه ينفي قولهم، وأولئك أولـياؤه ينكـرون هـذا، وهـؤلاء أصـحاب محمد - عليه الصلاة والسلام - يبطلون

---

[1] من مقالة "من تعليقاتي : قالوا وقلنا حول الشعر المنثور" ، جريدة "البلاد" السعودية ، العدد 2527 ، 1377/1/25هـ

[2] نفس المصدر

[3] المصدر السابق

ما ادعوه. أم هم من أنصار العلماء فهم كلهم مجمعون على فساد دعواهم؟...! أو هم من أصحاب الشيطان فها هم أولاء معشر الكهان لا يسلمون لهمذلك ؟! فلا أدري من أي الأحزاب هم؟! "[1]. وبعد هذا التساؤل والحيرة يخلصإلى أنهم لا ينتمون لشيء، وأن دعواهم ساقطة من تلك الأوجه المذكورة.

أما الحداثة المزعومة فهي في نظره غثاثة نابية عن الذوق العربي السليم ولا تولد إلا فقاقيع تضمحل قبل أن يتحصل منها مفهوم، وعمت هذه الحداثة حتى شملت بعض العقلاء فكانوا أقرب إلى السفاهة بعد الحلم.

ويتأفف كاتبنا من واقع الأدب الحديث، ويطوي آلاما عميقة إزاء المتخاذلين عن تراثنا الأدبي القديم، وينفر من التجديد المزعوم، ويراه كالعثير الثائر، يعلو ثم يهبط، يقول أبو تراب بعاطفة متألمة : "إن هذا العثير القاتم يعلو في رموس الفناء، ويثير زوابع التجديد في وجه الأثر الخالد من الأدب القديم ، وقد احتضنت أهله لحودكم ضمت من مجد، وكم أضمرت من فخار." [2]

ويتمنى لو أن دعاة التجديد أعلنوا دعواتهم زمن الجاحظ أو الجرجاني إذن لهب راقدهم، وصحا غافيهم، ثم ثار غائرا على مقومات العربية التي يخنقها اليوم تلاعب يراعة العابثين.

أمادعوى المحدثين أن الأدب القديم لم يحفظ لنا إلا الثروة اللفظية ، وأنه بعيد عن المعاني الجميلة، والأحاسيس الشاعرة فهي دعوى كاذبة يدفعها أديبنا بصلادة، فيقول : "ومعاذ الله أن نقول: إنه لم يحفظ لنا غير الثروة اللفظية التي أسمنت قوما بادوا، وأغنت آخرين من جوع، ثم بدأ ظلها يتلقص فيمعمعة الصواريخ . فإنه لن تزال عروق من هذا التراث الذي نقله إلينا الرواة تنبض بمعان فيها الحياة، وفيها الروح، وفيها متع لأبحاث النفس والاجتماع"[3] ، ثم يصرخ في وجه أدعياء التجديد ، ومنتقدي القديم قائلا : "أما آن لأدباء الشباب أن يكون لهم - إذاهم بالكتب يعبرون - في واضعي اللبنات الأولى أسوة وقدوة، ومثال يحتذى ، وأثر يقتفى في المرابطة والمثابرة والمعارضة والمناظرة." [4]

ويلتفت أديبنا مرة أخرى إلى صفحات الأدب عند المجددين في هذا العصر فلا يرى في أكثر نماذجه إلا ما يكدر خاطره ، ويعمق جرحه، فالأدب اليوم في نظرة أديبنا التشاؤمية "غدا أبخس ثمنا، يتلاعب أويتلهى به الظرفاء لدى المؤانسة والسلوة، والأذهان وراءهم منغمرة في لجج الدنيا ومصالحها، فجاء هذا اللون قاتما بهيما، مظلما هابيا، والصور بعد ذلك متهوكة مثلومة مشوهة ممسوخة، وظن آخرون أنهم فعلوا شيئا، وما إخالهم فعلوا ."[5]

---

[1] المصدر السابق

[2] من مقالة ''هذا الارتكاس لن يهدد اللغة'' ، جريدة ''المدينة'' ، 1385/7/25هـ

[3] المصدر السابق

[4] من مقالة "بين دعاوة ودعابة ياسين وضياء الدين" ، جريدة ''البلاد'' السعودية، العدد 832، 1381/5/6 هـ

[5] المصدر السابق

إن إدمان كاتبنا على قراءة القديم من كتب الأدب، وحفظ أشعارهم جعله في منأى عما يكتبه بعض معاصريه، حتى إذا عمل في الميدان الصحفي، وألزم بقراءة غثها وسمينها صدم ببعض النتاج ، وأحس بالمفارقة والتباين بين ما ألفته ذائقته، وما مجته من أدب بعض المحدثين ، فوسم هذا الانتقال بـ "العقدة" و"الأزمة" فقال: "وعقدتي في هذا قديمة؛ لأني قرأت للسلف ، ثما صطدمت بالخلف."[1]

ولا ريب أن الحب العميق للأدب القديم، والتضجر الكبير من أدب المحدثين وسم بعض أحكامه بالعنف الشديد، والتعميم الواضح، فالساحة الأدبية في عصره لمعت فيها أسماء أدبية حافظت على نهج السابقين، وأينعت أدبا في ذروة الجمال، وسجل أديبنا إعجابه الشديد بنماذج منه، من مثل مديحه لشاعرية الغزاوي، والشاعر العراقي الدكتور زاهد زهدي، وإعجابه بنثر الزيدان وغيرهم . ويتجه النقد عند صاحبنا - أحيانا - لقراءة بعض النتاج الأدبي إن قديما، أو حديثا، فتجد في نقده رؤى ثاقبة، وذائقة متميزة، ولفتات مهمة تؤكد تميز الحاسة النقدية، واحتكامه إلى الذوق الساعي إلى الكشف عن أثر الإبداع الأدبي وتفسيره، يظهرهذا في مقالته "تبرم المعري بالشيخوخة" حين قرأ ديوان أبي العلاء المعري المعروف بـ "اللزوميات" فالتفت إلى ظاهرة جديرة بالبحث والدراسة وهي ظاهرة التبرم بحياة الشيخوخة التي يجدها قد تلونت في هذا الديوان بأنساج مختلفة ولو أوردنا جملة الشواهد حول ذلك لطال بنا المقال، فلئن أردت الوقوف والاطلاع فعليك بمراجعة "اللزوميات" في مظانها، عندئذ تجد ذلك واضحا بينا ، أوغامضا مستكنا، يلوح لمن دقق النظر، وأرسلعنان التأمل ثم ساق عددا من الأمثلة الدالة على مراده، وتوقف عند مفهوم الشيخوخة عند أبي العلاء ؛ إذ هي بلوغ العنفوان، وهو سن الأربعين التي يعبر عنها بالضعف والهرم[2].

وتنتظم لأبي تراب مجموعة من المقالات ذات الاستدراكات العروضية من أبرزها مقالته "من الأخطاء العروضية للشاعر الفقي" و "الانتصار لعارف قياسة" و"نقد كلام عروضي" و"استدراكات على الشيخ عبدالله بالخير" ولا تخلو تلك المقالات من تلطف ولين مع بعضالمنقودين، وحدة وتهكم بآخرين . وغالبا ما يستهل تلكالمقالاتبما ينبئعن عاطفته تجاه المنتقد، أو إبداء رأيه في النص الشعري، ثم يلج بوابة النقد العروضي بطريقة علمية صرفة، ومن أبرز ماكتبه في هذا الاتجاه مقالته التي وجهها لصديقه الحميم محمد حسن فقي، وتلبست بالاحترام الفائق والتقدير لملكة الشاعر، والاعتراف بفضله، ولكنه الحق، والحق أحق أن يتبع، ومما قاله فيالستهلال هذه المقالة مثنيا علىالمنتقد : "نشرت جريدة البلاد في عددها 1332 بتاريخ 1383/1/28 هـ قصيدة بعنوان "أنت" لشاعرها الأستاذ الكبير محمد حسن فقي، وهو الغني عن التعريف به، فقد طبق صيته الآفاق، وسار بشعره الركبان، فأعظم به شاعرا فحلا أرزن ذا ديباجة. ولقد وقفت عليها فأعجبني عذوبة جرسها،

---

[1] الموزون والمخزون، أبو تراب ، ص 258-264

[2] أوهام الكتاب، أبو تراب، ص 326

ولطافة معناها غير أنه وقع نظري علىمصراعين من أبياتها انكسرفيهما الوزن ؛ لاضطراب التفعيلة ، واختل معه بحرالعروض. " [1]

ب – الاتجاه اللغوي

أبـو تـراب الظاهري واحد من أفذاذ اللغة في العصر الحديث، ملك ناصيتها، وساخت رجلاه في فنونها، حتى أصبح علما من أعلامها، يشار إليه بالبنان، وهابه الأدبـاء والمفكـرون، فهـو لا يرضـى أن تمـس اللغـة، ولا يطـيق أخطـاء الكـتاب، فنصب من نفسه حارسا أمينا على لغة القرآن. وهو حين يتجه للنقد اللغوي يتدثر في أحيان كثيرة بكساء الأدب، فيصحح ويناقش، ويجادل بلغة فنية تتباين من مقالة إلى أخرى .

وهـذه المعالجـة الأدبـية دفعتنـي إلـى الحـديث عـن هـذا اللـون المقالي، مـستبعدا فـي أثـناء الحـديث عـنها تلـك المقـالات التـي وقفت عـند الحقائـق اللغـوية، وامـتلأت بالأدلـة والبراهين التي لا تمثل روح الكاتب ووجدانه، فهي مقـالات لغـوية محـضة، لا تنـبض بفـيض العواطف ، ونبعالوجدان ، وإنما هي إلى المقالات البحثية أقرب.

إن إنـتاج أبـي تراب في هذا اللون المقالي غزير جدا جمع بعضه في كتاب "أوهـام الكـتاب" و "كـبوات اليـراع" و"لجام الأقلام" وقد حوت هذه الكتب وغيـرها مقـالات ردبهـا علـى كـبار الكـتاب والأدبـاء والمحققين فـي عـصره، كالعقـاد، وعبدالـسلام هـارون، ومحمـد حـسن عواد، وعبد القدوس الأنصاري، وأحمد عبد الغفورعطار، وأحمد الغزاوي، ومحمد حسين زيدان، وضياءالدين رجب، ومحمد حسن فقي ،وغيرهم كثير . ويـتجه أغلـب نقده اللغوي إلى تصويب الأخطاء الشائعة، التي تطفو على أقـلام الكـتاب، حتـى وإن كـان المخطئ من أعز أصدقائه، فالعلم عند أديبنا لا يحـتمل المجـاملات، ولا تقبل فيه المحاباة، وهذا المنهج العلمي لم يقبله بعض معاصـريه، فـصبوا عليه جـام غـضبهم، ونفـروا مـنه، وتحاشـوا الوقـوع في مـصيدته العلمـية، وآخـرون عـرفوا قـدره، وأثنوا علىصنيعه، وشكروه على ردهم إلى جادة الحق . ومـن أصـدقائه الـذين وجههـم إلـى الصواب صديقه الحميم الأديب أحمد الغـزاوي فـي مقالـته بـيض له التي توشحت بالرفق والتلطف فيالرد، واستهلها بالاعتراف بمكانة الشاعرالغزاوي، وبيان منزلته، فقال : "إن الماجد شـاعر الجـيل الأسـتاذ الكبير أحمد بن إبراهيم الغزاوي شخصية غنية عن التعريف؛ لما لها من شامخ المكانة ، ورفيع المقام بين طبقات الناس . ولا غـرو فـإن المذكـور خـليق بـأن يكـون مـرفع الجناب، حظيا، وأن يكون شاعرالوذعيا،

[1] السابق، ص 302

كيفلا ؟! وقد أسلمت له قيادة القول، وسخرت له ناصية البيان، فكان بطلا، فراء للقوافي والقريض." [1]

والاعتراف بمكانة صديقه الغزاوي لم تعفه من الوقوع فيالهنات والأوهام، فقد وهم أن لفظة "بيض الله وجهك" التي يستخدمها العامة وردت بالمعنى نفسه في الشذرات ، لابن العماد، وهذا وهم سرى عند الغزاوي؛ إذ المراد عند ابنالعماد أنه ترك ترجمة المذكور بياضا لم يسوده بعد ؛ لعدم حضور المادة ساعة الكتابة ." [2]

ويستوقفني في هذا الاتجاه مظهر بارز عندأديبنا وهو ظاهرة المعارك والمناقشات اللغوية التي خاضها مع أبناء عصره، وشكلت معلما مهما من معالم أدباء الحجاز، ورافدا من روافد الحركة الأدبية فيها .

ويبدو أن أدباء الحجاز بسبب إعجابهم الشديد برواد الحركة الفكرية والأدبية في مصر حاكوا روحهم الصدامية، ونزعتهم الجدلية، وانتقلتحمياها إلى أبناء الحجاز، فدارت بين أدبائها ومفكريها نقاشات بلغتحد الذروة، وربما خرجت عن طورها الموضوعي إلى الرغبة في الانتصار للذات ، وتهوين الآخر .

وكاتبنا ممن أبلى بلاء حسنا في تلك المعارك ، واسترجعها في أخريات حياته حين سئل عن أبرز المعارك التي خاضها ،فقال : "خضت كثيرا من المعارك الأدبية منها معركتي مع العقاد، وعبد السلام هارون، والشيخ أحمد شاكر، والشيخ عبد القدوسالأنصاري."[3]

وأبو تراب ينزع في معاركه إلى الاستدراكات اللغوية، وتتبع زلات المحققين، ويأتي بعضها في قالب أدبي يكسو به أفكاره العلمية، ومن أبرز معاركه التي خاضها المعركة المشهورة بـ "معركة جيم جدة" التي كان أحد أطرافها، ووقف فيها مع الأستاذين عبد القدوس الأنصاري، وعبدالفتاح أبي مدين، اللذين قالا بوجوب ضم الجيم في جدة، مخالفين بهذا الرأي علامة الجزيرة الأستاذ حمد الجاسر ، ومحمد عبد الله المليباري، وعبد الله نور الذين رأوا جواز تثليث الجيم.

وتمددت هذه القضية، وأخذت أكبر من حيزها، وقدم فيها صاحبنا ما يقرب من سبع عشرة مقالة، ضمنت في كتاب التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيمجدة. و لا ريب أنهذه المعركة أثبتت قدرة أدبائنا وصبرهم علىالبحث والتنقيب والتعليل فهي مفخرة من مفاخر البحث العلمي الرصين ، وآية على ما يمتلكه بعض أدبائنا من قدرة على الرد والنقاش والبحث العميق .

---

[1] لجام الأقلام ، أبو تراب ،ص 157 – 159

[2] السابق، 157

[3] المقالة في الأدب السعودي الحديث، د.محمد العوين ، 428/2

معارك أبي تراب نبتت - فيأغلبها - لا من أرضاللغة، فرصانته اللغوية كانت سلاحا تدرع به لخوض تلك المعارك التي تمدد بعضها إلى حد المهاترات غير المقبولة، لكن صاحبنا لا يرضى أن يخرج من أرض أي معركة بأقل من النصر، ليس بالهراء، والفلسفة، وإنما بالحجة الذهبية القاطعة كما يدعي الأديب محمد حسن عواد[1].

ثانيا : الندوات والمحاضرات:

المحاضرة فن من فنون النثر الخطابية، يلقيها الأديب على الحضور في محفل عام، ويعتمد فيها على الحديث المنسق المبوب، ويتناول فيها موضوعا معينا؛ لإيصال مضمونه إلى المستمعين، وعلى الرغم من اتسامها بالطول، والتحليل، والتسلسل المنطقي، والاستقصاء إلا أنها "أشبه بمقالة قريبة من الإفهام، يشيع في ثناياها عنصر التشويق والإثارة".

وقد سبق إقليم الحجاز غيره من أقاليم المملكة إلى هذه الظاهرة، فانبرى الأدباء والمفكرون إلى إلقاء المحاضرات، والتسابق إلى حضورالمنتديات .

محضرات أبي تراب الظاهري لا تخلو من حالين :

1- إما محاضرات علمية صرفة، كتلك المحاضرات التي ألقاها أبو تراب في علم الحديث، أو اللغة، ولن أتطرق لهذا النوع؛ لأنه لا يحمل سمات الأدب وعناصره من عاطفة، وتخييل، وأسلوب متأنق، إذ كان هم أديبنا في هذه المحاضرات إيصال الحقائق بطريقة مباشرة، وبأسلوب علمي يطرد فيه النقل، ويتواتر فيه التقسيم والتفريع؛ بغية التوضيح والتسهيل للمستمع.

2- محاضرات أدبية ونقدية اتسمت بمناقشة قضايا الأدب، والنقد، وتميزت بأسلوب أدبي ماتع، وهي المحاضرات التيسأقصد تحليل مضامينها، والوقوف مع أبرز ما طوته من أفكار، وهي:

3- محاضرة الأدب العربي بين الأصالة والمعاصرة ألقيت في النادي الأدبي الثقافي بمحافظة مكة المكرمة في الثاني والعشرين من شهر صفرعام 1411هـ.

4- محاضرة نظرة الجمال عند ابن حزم. ألقيت هذه المحاضرة فيالنادي الأدبي الثقافي بمحافظة جدة بتاريخ 1406/8/11هـ، ونشرت في المجلد الخامس من محاضرات النادي المطبوعة، ص 177- 243.

---

[1] جريدة "البلاد" ، العدد 1635، 1384/2/11 هـ

5- محاضرة نظرة القدماء في الأدب العربي ألقيت هذه المحاضرة في النادي الأدبي الثقافي في محافظة جدة في الثامن من شهرجمادىالآخرةعام 1414هـ.

6- إضافة إلى محاضرته التي ألقاها بمناسبة تكريمه في إثنينية الأستاذ عبد المقصود خوجة، ومشاركاته الإلقائية في تكريم العلماء في شهر رجبعام 1404هـ[1].

يغلب الاتجاه النقدي على محاضرات أديبنا، وخاصة قضايا النقد الأدبي ويغلب القديم التي تناثرت في تلك المحاضرات، وبحثها بوعي كبير، وعمقظاهر، متجنبا -في الأعم الأغلب - قضايا النقد الأدبي الحديث، ومسلطا على بعض مظاهرها سياط الذم والتندر.

ومن أبرز المضامين التي تواجهنا في محاضراته ولقاءاته: حديثه عن اختلاف الناس في نظرتهم للأدب العربي، وتباينهم في تفسيره، والغاية منه، يقول أبو تراب : "اختلفت أنظارالناس اليوم في الأدب العربي اختلافها في سائر الأشياء؛ لأن نظرة الوعي أصبحت غيرها بالأمس ، ومرئيات العلم تتباين في كل عصر بموجب سنة التطور" [2]

وفي طيات هذه المقدمة إبراز لاختلاف القدماء فيقضايا الأدب، وتباين آرائهم في مسائله، فالمتتبع لتعريف الأدب عند القدماء يلحظ هذا التباين، ويجد كما من التعريفات التي وضعها كل ناقد من زاوية اتكأ عليها، فمنهم من قال : إن الأدب هو: "حفظ أشعار العرب، ومعرفة أخبارها، والوقوف على دواوينها، ومعرفة الشاذ منها والمعلل، والبديع فيالبلاغة، ومنهم من سيطرت عليه النزعة النفسية في وضع مفهوم الأدب،فقال: "إنه عارض يتصل بالرجل، فيتذوقه، ويشتاق إليه." [3]

ومن القضايا التي ناقشها أديبنا في محاضراته ولقاءاته قضية تحريم الشعر والنتقاص من قائليه وكراهية تعلمه؛ إذدفع هذه التهمة، وأبان بطلانها، فقال: "أما ما ورد من استهجان الشعر وذمه والانتقاص منه، وعدم الخوض فيه فكان ذلك محمولا على من خرج به عن أبوابه المحمودة، ومال به عن سواء السبيل، فاشتغل بهجاء الكرماء، وذم الفضلاء، ... ومن طالع استنشاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يتجاسرعلى مثل هذه الحملة العنيفة على الشعر وأهله؛ لأن له معدنا تستخرج منه الكنوز" [4]

ويتجه ابو تراب في أثناء محاضراته إلى الحديث عن الأدب الحديث والمذاهب النقدية المعاصرة فيبدي امتعاضه منها، ونفوره الشديد من آفاتها، ويجد الهوة بعيدة بينها وبين الأدب

---

[1] الإثنينية، 381/2

[2] من محاضرة "الأدب العربي بين الأصالة والمعاصرة" وتكرر هذا المقطع في محاضرته "نظرة القدماء في الأدب العربي"

[3] المصدر السابق

[4] من محاضرته "نظرة القدماء في الأدب العربي"

القديم، ولا عجب فيهذا الهجوم المتواتر على أدب المحدثين؛ إذ إن أبا تراب تشبع بأدب القدماء، وعاش بين دواوين السابقين من الشعراء، واصطدم بألوان من التجديد لا تلائم ذوقه وسليقته، وفجع بأغلاط بعض الأدباء المعاصرين الدالة على ضعف تمكنهم من أدوات الأدب، فهو يرثي لحال الفارين من تقليد الأولين، ويعيب التعقيد في منطقهم، ويسخر منهم حينقال : "ولكن البينات دالة على أن القوم قصدوا فرارا من تقليد الأولين، وأرادوا لأن يدلوا بدلوهم في ظلمات التجارب فغاصت الجهود في المنطق القاتم دون أن يصان قولهم من الاعتلال." [1]

ويتجه أبو تراب إلى قراءة النصوص الأدبية قراءة نقدية فاحصة كما صنع في محاضرته القيمة "نظرة الجمال عند ابن حزم"، التي راح يبحث فيها- بعمقظاهر، ودراية متجلية عن مصدر الجمال عند الإمام ابن حزم من خلال مؤلفاته المختلفة ، وبتركيز كبير على كتابيه "طوقالحمامة"و"مداواة النفوس" . وفي ختام محاضرته يورد نماذج كثيرة من أدب ابن حزم الشعري والنثري تثبت نظرة الجمال عنده، وأعطى قبيل انتهائه موجزا عن تلك النظرة قال فيه: "وخلاصة القول: إن ابن حزم كان ينظر إلى الجمال نظرة ثاقبة صحيحة من الزاوية التي هيئت لنفسه بعقله وفهمه، وعلة الانجذاب إلى الجمال عنده، والإعجاب به، والاستحسان له هي : التجانس والتمازج، والاتصال والمماثلة، وقضية الجاذب والمجذوب عنده هي نسبية عند الخلق، ثم لم يقتصر تذوق الجمال عند ابن حزم على الجنس البشري فقط من حيث تخير الصور الجميلة، والأشكال الحسان، وعشقها ومؤالفتها، بل تجاوزهذا الحد إلى حب الجمال المعنوي فهو يرى في صفات الكمال جمالا لو صورت ، فالكرم والجود جمال ، والعفة والشجاعة جمال"[2]

إن المتأمل في هذه المحاضرة ليدرك عمق مضامينها ، وتفاعل أديبنا، وحماسته فيطرحها، وقدرته المتميزة على الاستنتاج والتحليل والاستشهاد والموازنة، فالموضوع قريب من نفسه، والمتحدثعنه مستحوذ علىعقله، ومعجب بأفكاره، ومتشبع بتراثه؛ فلا عجب بعدئذ أن تتميز هذه المحاضرة عن غيرها.

ويتجه أديبنا في بعض محاضراته ولقاءاته وجهة ذاتية فيحدثنا عن رحلته في الحياة، وما عاناه في سبيل العلم والتعلم، وأبرزرحلاته، وتكوينه وييمم، وألمع شيوخه، وأهم أعماله، وسبب اشتهاره في بعض من الخواطر الذاتية التي أمتع بها المستمعين يوم تكريمه في إثنينية الأستاذ

---

[1] من محاضرات النادي الأدبي الثقافي في جدة ، المجلد الخامس : 124-175

[2] من محاضرة "نظرة الجمال عند ابن حزم"

عبد المقصود . ويتجه أديبنا في هذا المنتدى الأدبي والفكري إلى الإشادة والمديح بالمحتفي.[1]

لقد كانتهذه المحاضرات - على قلتها - دليلا صارخا على امتلاك أديبنا لأدوات النقد الأدبي، واستطاع أن يستثمر عمقه اللغوي، وعلمه الشرعي، وثقافته الموسوعية في طرح قضايا الأدب، فتميزت محاضراته بعمق ظاهر، واستنتاجات حاذقة، وتوالت الأدلة والبراهين علىأكثر القضايا التي يذكرها، ومما يؤسف عليه أن هذه الملكة لم تستثمر على الوجه المطلوب ، فغاب أديبنا عن ميدان المحاضرات والندوات والمناسبات الفكرية المتنوعة، مع امتلاكه قدراتالمحاضر المتميز .

[1] الإثنينية، 397/2

الفصل الثاني:

خصائص نثر أبي تراب الفنية

أ – هيكل المقالة:

أولا: العنوانات:

عنوان المقالة هو اللبنة الأولى التي تواجه المتلقي، وتجذبه إلى قراءة المقالة، وحسن اختياره هو الأساس الذي يبنى عليه قبول القارئ للمادة المعروضة فالكاتب المتميز يحرص على أن يكون اختياره لعنوان مقالته جذابا، يحرك جانب التطلع عند القارئ، ويشحذ التوقع الممتع لديه، ويترك انطباعا قويا في نفسه، فيدفعه إلى أن يكشف ما وراء هذا ويصل الأديب إلى اختيار العنوان الجيد بوسائل عديدة منها: "المهارة في اختيار الألفاظ، والإيماءات اللماحة، والإشارات اللبقة التي تدل على ذكاء صاحبها، وهذا يتطلب من الكاتب البعد عن العناوين التعليمية المباشرة، مع المحافظة على عنصر الصدق في العنوان؛ لكي يحتفظ الكاتب بثقة قارئه".[1]

وإزاء الكم الهائل من المقالات التي جمعتها لأبي تراب أقف أمام تنوع ظاهر لعنوانات مقالاته، فهو يعمد في أحيان كثيرة لاختيار عنوانات عامة يكتب تحتها عددا من المقالات الكثيرة، من مثل هذه العنوانات: "موزون ومخزون" و "أفاويق" و"الحواظر والخواطر" و"أسمار رمضان" وغيرها .

كما أجده يزاوج بين العنوانات البسيطة التي تتكون من لفظ أو اثنين مثل: "ضحايا الأفكار " و"الخلاف المذموم " و"في فارس وبين العنوانات المركبة التي تتكون من ثلاثة ألفاظ فأكثر، مثل : "لا روعك الله يا زيدان" و "رمز الصحافة حسن قزاز" و"مجالس الواثق مع المازني في العربية".

ومما لا ريب فيه أن اشتغال أبي تراب بالاستدراكات اللغوية، والأخطاء الشائعة في الصحف والمجلات، واعتناءه بالتحقيق، انعكس على عنواناته التي برز فيها العنصر الشخصي؛ فتواتر ذكر الأعلام في عنواناته، وأمثلة هذا اللون كثيرة في إنتاجه المقالي منها: "تخطئة العطار " و"وهم عبد السلام هارون " و "وهم محمد علي قطب ".[2]

والعنوانات الشخصية السالفة ليس فيها صنعة فنية، أو انتقاء لفظي، أو ابتكار وتجديد، وإنما هي عنوانات آنية، يبدو للقارئ سرعة وضعها، ومباشرتها لمضمون المقالة، وليس ببعيد

---

[1] المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث، د.عطاء كفافي ،ص 59

[2] الموزون والمخزون ، أبو تراب ،ص 182

عنها أيضا - في الضعف الفني- تلك العنوانات التي تحدث فيها عن بعض الأعلام، أو عرض فيها لبعض الكتب، أو تناول فيها قضية علمية بالبحث، والتحقيق، فيجد القارئ نفسه أمام عنوان مباشر، لا يحرك النفس، ولا يجذب المتلقي، وربما وصل حد الجفاف والصرامة العلمية، من ذلك مثلا: "رثاء حسن آل الشيخ" و"جوامع السيرة: لابن حزم" و "لا يكاد الميكروب يتولد في ماء زمزم" .

والعنصر الزماني ملحوظ في عنوانات أديبنا من مثل "العيد مبتهج وهدف"، و"أدبيات العيد" و"أسمار رمضان" وفي مقابل ذلك لا أجد للعنصر المكاني ما لسابقه من وفرة إلا قليلا من مثل: "الكوفة وتأريخها فيفارس" وتبدو بعض القيم الجمالية في عنوانات أبي تراب، التي تسهم في جذب القارئ، و إثارة انتباهه، وتشويقه إلى ما وراء العنوان، وتبدوفيها الصنعة والتأني، وإعمال الذهن والتركيز في الانتقاء، من ذلك استعانته باللغة المجازية الموحية، التي تنتقل فيها اللفظة من معناها المعجمي إلى لفظة إشارية لها أبعادفنية عميقة، تأمل ذلك مثلا في عنوان سلسلته الموسومة بـ "أفاويق" و"الأفاويق" وهي مقالات يغلب عليها الطابع الوعظي، الذي يحرك النفوس، ويحاول إيقاظها من سباتها، ويدعوها إلى بارئها، يمطرساعة بعد ساعة.

إن تلك المقالات الوعظية المتتالية - التي تنبض بعاطفة إيمانية مشفقة - لهي بمنزلة الغيث المتوالي، فإذا بدأ بالنضوب والجفاف أتبع بماء آخر، وهكذا في دورة لا يفقد فيها الماء، وبهذا يبدو لنا العنوانعميقا، قد اكتسى بحلة جمالية فريدة تحتاج من المتلقي إعمال ذهن وتأن فيالقراءة؛ ليربط بين العنوان ومضمونه .

ومنالعنوانات النازعة إلى اللغة المجازية "ظماءة الشعر إلى ري القريض" فهو ينبض بعاطفة تكتظ بالمرارة والأسى تجاه الشعر العربي المحافظ الذي فقد مكانته في هذا العصر، واستبدله أقوام بشعر لا ماء فيه ولا رونق، فجف من ملامحالجمال، ونضب من ملامح الإيقاع ، فهو ظامئ إلى منهله العذب، ومنهجه الموافق لطبيعة العربي [1].

ومما يؤخذ على أديبنا طول عنواناته - أحيانا - بشكل يتنافى مع سمة التركيز والتكثيف الواجبة في العنوان، من ذلك مثلا: "نظرة عابرة حول تحقيقات لغوية وأدبية من كتاب فقه اللغة للثعالبي"، و"الصلابة في الدين ليست فيالغلو والتطرف" وقد يكون العنوان مركبا وطويلا مثل: "من تعليقاتي: كلا لا تجتمع السين والذال في بناء كلمة عربية" .

وبهذا العرض يتبين التفاوت الواضح في عنوانات المقالات عند أبي تراب، وترددها بين الإجادة والضعف، والصنعة والآنية، والإيحاء والمباشرة، وبرز التواؤم والتآلف بين عنواناته ومضامين مقالاته، وبدا بعضها كاشفا عن أحاسيسه، ودرجة عاطفته.

---

[1] السابق، ص 189

ثانيا: البداية:

كما أن العنوان مهم في إثارةذهنالمتلقي، ودفعه إلى قراءة المقال، فكذلك الأمر بالنسبة إلى بداية المقالة ومقدمتها؛ إذ إن لها أهمية خاصة في نظر الكاتب والقارئ، فالقارئ لن يقبل على قراءتها بلذة ونهم إلا إذا طالعته بادئ ذي بدء بصورة جذابة مشوقة مجلوة بأسلوب طبيعي سلس، وهو أسلوب المسامرة والحديث العادي، وبفكرة طريفة متألقة تسترعي عنايته، وتجتذبه إليها بقوة وإغراء. وتتحقق براعة الاستهلال في المقالة بأن يكون افتتاحها "مثيرا وشائقا جذابا، يغري بمتابعة القراءة والاسترسالفيها، ويستحوذ على فكر القارئ ومشاعره، ويحقق استجابته الطيعة، بما في هذا الافتتاح والتقديم من لمح الإشارة، وقوة العبارة، وبراعة الإثارة، والإيحاء بالفكرة، والتلويح بالمضمون ..." [1]

وبالنظر إلى المقدمة عند أبي تراب أجد أن أول ملامحها البارزة استهلالها بعبارة "قال أبو تراب" التي لازمت جل مقدماته، ومثلت انطلاقته نحو التمهيد، أو الانقضاض مباشرة على مضمونه، ويبدو أن استهلاله بهذه العبارة من بقايا التأثر بالأسلاف، وخاصة شيخه ابن حزم كما ألمح فيها مظهر "الأنا" الذي يفوح من أردان هذه العبارة، ويبدو فيها مفتخرا بما يملك من علم ومعرفة .

وتتفاوت مقدمات أديبنا تفاوتا بينا بين الطول والقصر، ففي مقالته الموسومة بـ "غاب عن علم الطنطاوي" تصلالمقدمة إلى اثني عشر سطرا، وتصل إلىعشرة أسطر في مقالة "بينالحرفة والأدب" و "مع عصا الدكتور محمد عبده يماني"، وفي مقابل ذلك لا تتجاوز المقدمة سطرين في مقالته "إعراب ونسبة بيت" و"من تعليقاتي : قالوا وقلنا حول الشعر المنثور"، وربما باشر الكتابة في الموضوع من دون مقدمة، كما في مقالته: "الصور البلاغية في القرآن" و"سراقة البارقي" و وهم الشيخ أحمد شاكر"، وملحوظ أن أبا تراب يطيل المقدمة في مقالاته الوجدانية، والنقدية الأدبية، ويوجز في مقدمة مقالاته المتجهة إلى الاستدراكات اللغوية، والحديث التاريخي .

ومن أدوات التشويق والإثارة في المقدمة استخدام أساليب التعجب والدهشة والاستغراب، وإيراد غير المشهور، أو غير المألوف من العبارات أو تبدو المقدمة في إطارقصصي، أوأسلوب إنشائي يستثير المتلقي، ويوقظ ذائقته لاستكمال النص، ولك أن تتأمل هذه المقدمة التيتبدو مثيرة للقارئ. يقول أبو تراب مخاطبا صديقه الحميم الأديب محمد حسين زيدان: "الله الله ألا طالما سرني المؤرخ المتثبت محمد حسين زيدان، وقدهدي إلى أقصد المسالك، فما أوفر سهمه، وأتم قسمه، وأنفذ بصيرته، وأبين رأيه ، أرى لسيره في العلم ألهوبا، وفي صداقته لأهله استعذابا." [2]

---

[1] فن المقال بين التراث والحداثة، عبد الله حسين علي سليمان، الدار المصرية، الإسكندرية، 1422هـ/2001م، ص 59-60

[2] أوهام الكتاب، أبو تراب، 39

فالبدء بأسلوب التعجب، وحسن التقسيم بين الجمل، والسجع المعتدل، والصورة الجميلة الساطعة في قوله : "أرى لسيره ألهوبا"، كلها من أدوات التشويق والإثارة التي أجدها في هذه المقدمة.

واستخدام لفظة "ويل" الدالة على التهويل والتعجب والتفجع تنبه المتلقي، وتستثير فضوله لما وراء هذه المشاعر المتأزمة. تأمل ذلك في مقدمة مقالته الموسومة بـ "إلى حسن آل الشيخ وزير التعليم العالي" حين قال : "ويل لفتيان الحاضر يفنون زهرة شبابهم في عبث العابثين ، ولهو اللاهين عما يعجم عودهم، ويغمر ميرهم، وينمي أصلهم، ويزكي فرعهم..." [1]

والطريقة الأثيرة لدى كثير من الكتاب أن يصدروا مقالاتهم بحادثة صغيرة، أو قصة قصيرة، أو خاطرة مناسبة؛ حتى يتقبل القارئ المعنى المنشود براحة وقناعة وهذا ما وجدته في بعض مقالات أديبنا أبي تراب، من مثل مقالته الموسومة بـ "تقريظ لشاعرالغزل حسين سراج" التي قال في مستهلها : "شرفني بالزيارة أضحوة الأمس الفارط بمنزلي الذي أعيش فيه بين أحضان مكتبتي صديقنا الأديب الشاعر الأستاذ حسينعبد الله سراج، وهو كما لا يخفى على كل من له بالثقافة صلة رجل علم وأدب وتاريخ ... وجلس الشاعرعندي سويعة من الزمان تجاذبنا فيها أطراف الأحاديث تكون بين الأخلاء، وقد تتكرر مادته، ولكنها لا تمل، فإذا تجددت اجتلبت الأنس المضاف بالصديق الذي أقرظه..."[2] ، وبعد أن التقط كاتبنا صورة لتلك الزيارة، وأشرك القارئ في أجواء تلك الجلسة العابقة بمشاعر الأخوة والصداقة الحميمة، انتقل إلى صلب موضوعه، وعرض فكرته التي ابتغاها منهذه المقالة.

والأسلوب الإنشائي يفاجئ نفس القارئ، فيثيرذهنه، ويهزعقله؛ ذلك أن الأسلوب الإنشائي طلب " والطلب يقتحم ذهنالمتلقي والسامع. وقد استهل صاحبنا عددا كبيرا من مقالاته بهذا الأسلوب الحي، تأمل ذلك مثلا في هذه المقدمات:

"أتدري أي يوم هذا من رمضان؟! إنه يوم البطشة الكبرى في بدر القتال، ويوم الفرقان الأعظم بين الحق والباطل. ألا نضر الله خاطر الأخ الفاضل عبد الله الشمراني، أفضل علي بالاتصال بي يتعقب ويصحح ويستدرك ويصوب، فارتاح إليه البال، وسر القلب، بأن في الصحب من يعنى بما نكتب، ويقرأ ما نسطر..." و" يا مضيع الزمان ، والزمان زمان عبادة ، ويا معرضا عن الرضوان والشهر شهره، أو تريد أن تمضي غير محمود ،ثم تنجومن مناقشةالحساب؟...! " [3]

وقد تعتمد المقدمة عند أديبنا على الاقتباس، أو الاستشهاد ببيت شعري، أو مثل مشهور يناسب مضمون المقالة، من ذلك مقدمة مقالته "وكانت أعياد" التي استفتحها بقول الله

---

[1] الموزون والمخزون، أبو تراب، ص 155

[2] جريدة "البلاد"، العدد 8118، 1406/3/19هـ

[3] الموزون والمخزون ، أبو تراب، ص 109

سبحانه وتعالى : "اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك."[1]

ومما تجدر الإشارة إليه أن ظاهرة الردود والمناقشات، ووفرة المقالات النقدية عند أبي تراب أفرزت بعض المظاهر المهمة في استهلال مقالاته، من أبرزها :

1 - البداية بعبارات الثناء والتقدير للمنتقد، ويبرز هذا في مقالات كثيرة منها : "مع الزيدان" و"بيض له" و "المستدرك علىأحمد شاكر".

2 - الاستهلال بلفظ "اطلعت" أو "قرأت" أو "سمعت " أو "وقفت" التي ينطلق من بوابتها إلى مناقشة الآخر، والرد عليه، من ذلك مثلا : مقالته "بحث لغوي هام جامع و"التعقيب على الشيال" و "من تعليقاتي: قالوا وقلنا حول الشعر المنثور"

3 - الهجوم اللاذع منذ الوهلة الأولى من المقال تجاه المنقود، وغالبا ما تظهر هذه الحدة في معاركه اللغوية والأدبية التي خاضها مع خصومه، فيفرغ شحنة من عاطفته الغاضبة في أولى عتبات المقالة، ومما يمثل هذه الحدة قوله: "وقفت على كلام طائش فائش، ورأي عجول جهول، وتعليق أهوج أهوك للدكتور محمود علي مكي.

والاستهلال بالحمدلة، والصلاة والسلام على النبي - صلى اللهعليه وسلم - تظهر بجلاء في محاضراته، وربما جاءت ملمحة إلى المضمون كما في استهلال محاضرته "نظرة الجمال عند ابن حزم" التي قال فيها : "الحمد الذي جعل من الجمال مراضع لمطافل الحب، وصرفها كما شاء أنواعا وأقساما، والمباح منها والمحرمبين مصيب ومخطئ، خيرالقلوب ما انطبع على الرشد، وشرها ما جانب طريق الطاعة، وصلى الله وسلم على نبيه ورسوله محمد أجمل الناس غرة القائل : إن الله جميل يحب الجمال." [2]

ثالثا: الوسط:

وسط المقالة يحوي موضوعها، وهو أسها الذي تقوم عليه، وجوهرها الذي يعرض فيه الكاتب ما لديه، وقد وصف الدكتور عطاء كفافي هذا الجزء المهم بقوله: "موضوع المقالة أساسها وجوهرها، ويشغل بطبيعة الحال مساحة أكبر من المقدمة والخاتمة."[3] ويأخذ الكاتب في معالجته للموضوع بعرض ما لديه من أفكار وتصورات وخواطر بالطريقة التي يراها مؤثرة في قارئه، ومقنعة له بشتى الوسائل والطرق من براهين وأدلة، أو شواهد وأمثلة، أو وصف وتحليل، ولديه متسع لكل هذا من غير نهج محدد يلزمه أن يصل إلى الخاتمة، أو ينتهي من مقالته .

---

[1] نفس المصدر، ص 234

[2] من مقالة "نظرة الجمال عند ابن حزم"

[3] المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث، د.عطاء كفافي ،ص 67

وتتحقق الإجادة في هذا القسم بقدرة الكاتب على "إجادة الأداء، وبراعة الانتقال، ومراعاة الانسجام بين الفكرة، وأسلوب التعبير عنها، وإتقان الخطو عبر الخواطر والأفكار في وحدة وتماسك، وجمال إيقاع، وقوة إقناع ، وروعة إمتاع" ، إضافة إلى المنطقية في عرض الأفكار بحيث يقدم الأهم على المهم؛ مدعما ذلك بالحجج والبراهين المقنعة، متجها صوب الخاتمة لأنها مناره الذي يقصده .

والمتأمل في مقالات أبي تراب يلحظ توافر الوحدة الموضوعية في شطر منها، وخاصة في مقالاته التي تناول فيها شخصيات معينة كسلسلته التي تحدث فيها عن مروان بن الحكم الأموي، ومقالته "من أدبائنا الراحلين : عبد الله فداء كتبي، ومقالته "سراقة البارقي" وغيرها . كما تتحقق الوحدة الموضوعية أيضا فيعدد كبير من مقالاته التأريخية التي يتناول فيها أحداثا معينة، يسطع كل حدث منها فيمقالة مستقلة، ومن أبرز الأمثلة علىهذا اللون سلسلته المقالية الموسومة بـ "أحداث رمضان" التي تناول فيها أحداثا من السيرة النبوية، كنزول الوحي، ومعركة بدر، وفتح مكة، وغيرها[1].

وتتبدد الوحدة الموضوعية في صلب المقالة في كم كبير من مقالاته، ربما لموسوعية أبي تراب التي تلح عليه كثيرا في استدعاء أفكار أخر، وتغريه بالاستطراد، والتمدد في الكتابة، أو لأن العاطفة المنفعلة لاينضبط الكاتب إزاءها بإطار محدد، بل يبقى طوع عاطفته، وأسير مشاعره، فينثرها في نصه من دونعقد يجمعها أحيانا، ومن دون منطقية وتدرج في تناولها، ومن أبرز الأمثلة على فقدان الوحدة الموضوعية في صلب المقالة سلسلة مقالاته "أفاويق" و "الأفاويق" ومقالته "بيني وبين ظاهري نجد" و "أفواه القرب في الرد على الذهب" وربما تناول كاتبنا فكرتين أو ثلاثا بينها ترابط موضوعي ظاهر، وأجاد في الانتقال المنطقي بينها، من ذلك مثلا مقالته "شباب الإسلام" التي ركز فيها على قضيتين هما: صفات الشباب التي يطلبهاالإسلام، ونماذج من مواقف شباب الصحابة، وفي مقالته "بالرفاء والبنين" يتحدث عن آداب الأمم والشعوب، ومقارنتها بآداب الإسلام، ثم يوجه القراء لاقتفاء الهدي النبوي فيما يقال للمتزوج، ويحذرهم من استعمال دعاء أهل الجاهلية الذي جعله عنوانا لمقالته[2] .

وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة الاستطراد تبرز عند كاتبنا في صلب مقالاته ومحاضراته، وفي أغلب محاضرات أديبنا تظهر المنطقية فيعرضه لموضوعه، ويتنقل بين عناصرها بتدرج ملحوظ، ففي محاضرته "الأدب العربي بين الأصالة والمعاصرة" يستهل عرض مضمونه بتعريف الأدب، ثم يتحدث عن علومه، ثم يميم صوب الشعر، ويعرف به، وينكر على المنتقصين من ديانة قائليه، والمشتغلين به، وتحدث بعد ذلك عن تطور هذا

---

[1] المقال وتطوره في الأدب العربي المعاصر، د. السيد مرسي أبو ذكرى، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص 71

[2] الموزون والمخزون ، أبو تراب، ص 182

الفن، إلى أن وصل إلى عصرنا الحديث فشن هجوما لاذعا على أصحاب المناهج المقلدة للغرب في الإبداع والتحليل، وسخر من المناصرين لدعوى مايسمى بـ "الشعر المنثور.
وتبدو محاضراته مكتظة بالأدلة والحجج والبراهين النقلية والعقلية، ويزينها بالقصص الماتعة التي تسترعي سمع المتلقي ، وتشد ذهنه[1].

رابعا: الخاتمة:

الخاتمة هي آخر ما يستقر في ذهن القارئ، ويعلق بنفسه، فلا بد أن تكون نتيجة طبيعية للمقدمة والعرض، واضحة صريحة ، ملخصة للعناصر الرئيسة المراد إثباتها، حازمة تدل على اقتناع ويقين.
ولأهمية الخاتمة نصح أحد النقاد كتاب المقالة قائلا : "تذكر أن خاتمتك هي كلمتك الأخيرة معقارئك، فرصتك الأخيرة لإقناعه بحقيقة أطروحتك، اغتنم هذه الفرصة." [2]
وبالنظر إلى الخاتمة في مقالة أبي تراب، أجد عددا من السمات المهمة، والخصائص المتكررة التي يمكن إبرازها من خلال النقاط الآتية :
1- الحرص على ختم المقالة بالدعاء العام، أو الخاص، وتظهرهذه السمة جلية في المقالات التي تناولت الحديث عن الأعلام، أو المناسبات الدينية، كرمضان والحج، وتطل كذلك في بعض مقالاته النقدية التي يجد في ختامها فرصة للدعاء بالمغفرة والهداية، والبعد عن الزلل للمنتقدين، ومن أمثلة هذا الخواتيم - وهي كثيرة جدا - : "حمانا الله بهداه، ورزقنا اتباع سنة المصطفى" [3] .
2 - الأثر القرآني يبدو ناصعا في خواتيم مقالات أبي تراب، فتارة تبدو الخاتمة اقتباسا لبعض الآيات المناسبة لمضمون المقالة، وفي حين آخر تكتسي لباسا من التأثر بألفاظ القرآن وتراكيبه في شكل من أشكال التناص الذي لا يخفى علىالقارئ، وأكثر ما يظهرهذا اللون في مقالاته الدينية، من ذلك مثلا : "ولن ينفع المرء إذا نصب الميزان، وضج المحشر، وذهلت المراضع، وشخصت الأبصار إلا العمل قدمه، والخير أسلفه، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى" [4].
3 - كثرة الاستشهادات الشعرية، والحكم والأمثال المؤكدة لمضمون المقالة، والمعززة للبراهين والأدلة التي ساقها في عرضه، من ذلك مثلا قوله : "ثم اعلم أنا نعفو ونصفح لكن إذا

---

[1] محاضرات النادي الأدبي الثقافي في جدة، ص 175-241

[2] من مقالة "البنية" لوسيل فوقان مضمنة في كتاب معالم كتابة المقالة، ص 89

[3] أفاويق، جريدة "البلاد"، العدد 2361، 1386/7/28هـ

[4] من سلسلة مقالات "الأفاويق"، جريدة المدينة، العدد 4982، 1400/9/27هـ

بلغ السيل الزبى، وجاوز الداء الطبيين ، رأيتنا نرقم الماء، ونفلق الجندل، فما ستر إلا ويهتك ، ولا حجاب إلا ويهبر ، ولا جلد إلا ويقأب" [1]

4 - يختم كاتبنا بعض مقالاته بالتحية والسلام، وقد يكتفي بلفظة "والسلام"، وربما زاد عليها ، فقال : "أما بعد : فالسلام علي وعليكم يوم نموت قبل أن نذل ونخزى. "[2]

5 - يستخدم كاتبنا بعض الألفاظ المشعرة بانتهاء مقالته، من مثل استخدامه للفظة "أمابعد"، أو اسم الإشارة "هذا"، أو لفظة "وأخيرا"، وغير ذلك منالألفاظ الموحية بالانتهاء، من ذلك قوله في معرض دفاعه عن نفسه حين استخدم لفظة غريبة في إحدى مقالاته: "أما بعد : فأي وجه للاستنكار والغرابة ياقوم! ثم ليعلم الأخ هيكل أنني لست من الذين "يولدون أو يفرخون" كلمات لا أصل لها يأتون بها للتندر والمعاياة والتعامي والأحاجي والتفكه، وحاشا صنيعي أن يقع في مثلذلك". ومن استخدامه لاسم الإشارة بشكل يؤذن بنهاية المقالة قوله : ..."هذا وإجلالي وإكباري وتحيتي للأخ الفاضل عبد الله الشمراني الذي كان السبب في تزبير هذه الكليمة، ولولاه لكان الغلط منشورا، والباطل مستورا" [3] .

6 - وفي المقالات الوعظية ترتبط بداية الخاتمة - فيالغالب- بفعل الأمر الدال على الاستحثاث، والإرشاد، والترغيب، تأمل لهذه الخاتمة المكتظة بأفعال الأمر التييقول فيها : "اجعل الخلق الحسن شعارك، والبشاشة فيوجوه الخلق ديدنك،وأصغ إلى الضعفاء، وأقم لهم وزنا، واحرص على البذل للفقراء من أعطيتك تنل خيرا."[4]

7 - الاعتذار للقارئ سمة تظهرفيالخاتمة، فموسوعية أديبنا، والتداعي الظاهر للأفكار، والرغبة في الإفاضة تستهويه أحيانا، ولا يسمح حد المقالة بالمزيد من القول ،فيلجأ في ختامها إلى الاعتذار، ويشعر المتلقي أنه لم يوف الموضوع حقه، من ذلك مثلا قوله في ختام مقالته "تبرم المعري بالشيخوخة": أمابعد! فلعلنا بهذه الشواهد المقتضبة دللنا على الظاهرة التي أشرنا إليها في شعر المعري، وهي تبرمه بالحياة، وإذ قد أتينا بهذه العجالة فإنا نرى فيها الكفاية ،وإن لم نوف الموضوع حقه ؛ لأن في البحث متسعا." [5]

8 - وفرة أسلوب الاستفهام والتعجب في الخاتمة، وفي هذين الأسلوبين إثارة لذهن المتلقي، ورغبة في تفاعله، وإبقاء لروح المقالة في نفسه؛ حيث تبقى لجلجات الاستفهام، وذهول التعجب سارية فينفسه عقيب قراءة المقالة ،ومن أمثلة هذا اللون: "أفترون الأشقى

---

[1] من مقالة "الرد على الذهب"، أوهام الكتاب، ص 24

[2] الموزون والمخزون ، أبو تراب، ص 121

[3] السابق، ص 111

[4] من سلسلة مقالات "أفاويق" ، 1387/8/13هـ

[5] الموزون والمخزون ، أبو تراب، ص 264

الذي حرم الخيرفي شهره، وأعرض بوجهه عن المغفرة، وهي تهتن شآبيبها، وتسكب دلاؤها، ويمد رشاها، وتستوثق عراها." [1]

ومما تجدر الإشارة إليه أن أديبنا أغفل الخاتمة فيعدد كبير من مقالاته ؛ ربما لأن وجودها لا يحقق إضافة تذكر في المقالة، من ذلك مثلا مقالته: "مواعظ الحسن البصري" و"الجلوازية وتفسيرها " و " ضحايا الأفكار" وغيرها.

ومن الملامح النادرة عند أبي تراب أن يختم باستطراد؛ رغبة في مزيد من الإيضاح، أو لتبديد الغرابة اللفظية التي يجد في تبديدها لذته وأنسه.

خامسا: تداخل الأجناس الأدبية:

الجنس الأدبي هو أحد القوالب التي تصب فيها الآثار الأدبية، من مثل القصة، والمسرحية، والمقالة، والمقامة، وغير ذلك وتداخل الأجناس هو تداخل أي جنس أدبي مع جنس آخر.

والمقالة من أكثر الأجناس الأدبية انفتاحا على غيرها، فتلمح في أثنائها خيوط القصة، وملامح الترجمة الذاتية والغيرية، ولغة المقامة، وتقاليد الرسالة، وقد أدرك الدكتور محمد نجم هذا الانفتاح والتداخل البنائي، فقال: "ومن طبيعة الفنون الأدبية ألا تنحصر في نطاق محدد صلب الأطراف، بل هي كالأواني المستطرقة يعدو كل منها على أخيه، ويفيد منه، وهكذا استغلت المقالة الفنون الأخرى، فأخذت من السيرة والقصص رسم الشخصيات، ومن المسرحية الحوار، ومن القصيدة الغنائية النفحة الشعرية " [2] .

وعندما أتتبع تداخل الأجناس الأدبية في مقالة أديبنا أبي تراب أرى الوجوه التالية من تداخل الأجناس:

1 – تداخل المقالة مع القصة

2 – تداخل المقالة مع الترجمة

3 – تداخل المقالة مع الرسالة

ب – اللغة والأسلوب:

1 – بين الغريب والمألوف:

أطبق جمهور النقاد على استحسان الألفاظ المأنوسة، التي تعارف عليها الناس، وتداولها الجمهور، ونفروا من الألفاظ الغريبة؛ إذ هي مطية الاستغلاق، ومظنة الاستبشاع، وداعية الإبهام، فجاءت نصوصهم المتعاقبة في التحذير من دركات الغريب، والاقتصاد في استخدامه.

وكتاب المقالة متفاوتون في أساليبهم، وطريقة انتقاء ألفاظهم، وتركيب عباراتهم، فالأسلوب وليد ثقافة الكاتب، ونابع من ذائقته وميوله، وصدى للمؤثرات الأدبية التي تقلب فيها، من هنا

---

[1] من سلسلة مقالات "الأفاويق"، جريدة المدينة، العدد 4975، 1400/9/17هـ

[2] فن المقالة في المملكة، د. محمد نجم ، ص 77

جاءت أساليب الكتاب متباينة بين الإيجاز والإسهاب، والغموض والوضوح، والسهولة والتعقيد، والتنافر والتماسك.
وأديبنا أبو تراب مثل الاتجاه اللغوي في كتابة المقالة الأدبية في المملكة العربية السعودية، وحبر شطرا منها بأسلوب سيطرعليه الأداء المعجمي، وعكس في طياتها مكنون حافظته المكتظة بألفاظ المعاجم ، وأبيات الشعر القديم، وانثالت تلك الألفاظ بشكل لافت في أدائه المقالي ، والشفهي .
وقد انقسم معاصروه من الأدباء والنقاد إزاء نزعته اللغوية في الكتابة إلى مؤيد يمتدح هذا الأداء إلى حد المبالغة، فيصف أداءه بالسحر الحلال، وكأنما الألفاظ طوع يديه، يختار منها أعذبها وأحلاها، وآخر- كالأديب محمد حسن فقي - يعترف بالانتقائية اللفظية عند أبيتراب، ويدافع عن طريقته، فيقول : "والحق أن أبا تراب يتعمد أن يقتحم هذه المغاليق اللغوية بعد أن لمس الركاكة والغثاثة في كثير من أساليب الكتاب، معالجهل الكبير بالمفردات اللغوية وبالتراكيب القوية المتينة، فأراد بما ينشره، وما يذيعه أن يقرأ الكتاب - ولاسيما الناشئة منهم - أسلوبا متينا قويا لا عجمة فيه، ... وهوأسلوب جدير بنا أن نعتز به ونفاخر، ونحاول أن نضاعف من محصولنا اللغوي لكي نستطيع فهمه بسهولة."[1] أما الدكتور محمد العوين - الذي أعد دراسة وافية عن المقالة في المملكة العربية السعودية - فإنه نظر إلى أبي تراب من زاوية ضيقة، وارتضى أن يحكم عليه من بعض نتاجه، فجاء حكمه قاسيا حين وصف أسلوب أبي تراب بالاستغلاق، والعسر، والإسراف في الصنعة والنحت، وأعاد أسلوبه إلى عصور تباهى فيها الكتاب بالغريب المستكره."[2]
وفي تقديري أن حافظة كاتبنا اللغوية، وتضلعه الكبير بعلوم اللغة انعكسعلى أدائه الكتابي، وأسلوبه الأدبي، فأصبح استخدامه لبعض الغريب طوع السجية، وعفو الخاطر، ولا يحتاج إلى عناء كبيرفي استدعائه، وقد اعترف بهذا في أكثر منمناسبة، من ذلك قوله: "وما ذنبي إذا كان اللفظ مأنوسا مستعملا مقروءا عندي في الكتب غير مطروق لدى من يقرؤه في كلامي، فإن العيب في قصر الباع، لا في سعة الاطلاع". وحينما سئل عن الشوارد اللفظية في أسلوبه عزا ذلك إلى حفظ أربعين ألف مادة من مواد القاموس المحيط علق منها في ذهنه حجم كبير، ثم قال : "والآن ترد على اللسان والقلم عفويا كلمات ربما تعز عن ذهنالمطلع ، أوتغيبعلى القارئ العادي. " [3]
وإذ أمعنت النظر في الغريب الذي أودعه كاتبنا في مقالاته، أجده متفاوتا ما بين ألفاظ موغلة في الإغراب، وبعيدة عن فهم المتلقين بمستوياتهم المختلفة واستخدام أديبنا للألفاظ الغريبة يختلف من نص لآخر، فهو يعمد - أحيانا - إلى تكثيف الألفاظ الغريبة في

---

[1] من مقالة "أبو تراب الظاهري"، جريدة "البلاد" ، سبق الإشارة إليها

[2] المقالة في الأدب السعودي الحديث ، د. محمد العوين، 705/2

[3] من مقابلة أجريت معه في جريدة عكاظ، سبق الإشارة إليها

النص، ويوالي بينها في حيز ضيق، فتبدو صعبة مستغلقة، ينفر منها المتلقي، ويشعر إزاءها بالصنعة والإثقال، وهذا الصنف هو الذي عناه الدكتور محمد العوين حين تحدث عن المدرسة التقليدية في كتابة "المقالة في المملكة".

وأما **الوضوح** فأول ملمح من ملامحه يظهر فيما صدر من عاطفة أديبنا المتوهجة، وانبجس من مشاعره النابضة، فجاء بأسلوب رشيق، وانسياب ظاهر، كما فيقوله : "وقد كل عزمي، وركد ذهني ، وبت ضجيع الأحزان حين فرمني كل طير ربيته مقفوصا." [1]

وبعد هذا العرض يتبين أن الألفاظ الغريبة انثالت في مقالات أبي تراب بتفاوت ظاهر، وجرت على لسانه عفو الخاطر، وطوع البديهة؛ إذ الغريب سابق إلى لسانه، وناهض إلى قلمه، فهو أديب امتاح علوم اللغة، وحفظ منها ما حفظ، فلا عجب حينئذ أن يفتق لنا اتجاها لغويا معجميا في كتابة المقالة في المملكة العربية السعودية .

وليس من الإنصاف أن نسم مقالات أبي تراب جملة واحدة بالغريب، ففي كم كبير منها انسابت بألفة ووضوح ، وانحلت من ربقة الإثقال والانغلاق .

بين الجزالة والرقة:

يستحسن النقاد الألفاظ الجزلة السهلة، فأبو هلال العسكري يرى أن: "أجود الكلام ما كان جزلا سهلا "وابن خلف الكاتب يقسم الألفاظ إلى أضرب ثلاثة منها: ضرب فصيح جزل سهل، ينصحالأدباء باستخدامه، ويحثهمعلىاستدعائه. " [2]

والمبدعون متفاوتون في طباعهم، فمنهم: الرقيق السلس، ومنهم: الجزل الفخم، فالأول ينزع إلى الجزالة في أغلب نتاجه، والثاني يميل إلى الرقة والسلاسة في جل إبداعه، وأديبنا أبو تراب من الفئة الأولى؛ إذهو إلى الجزالة في انتقاء ألفاظه أقرب، وإلىالرصانة الأسلوبية أدنى[3] .

ومصدر الجزالة عند كاتبنا ينبع من مضامينه، فالاتجاه إلى النقد والاستدراك، والفخر والثناء، والحديث عن رزايا الأمة ومحنها مضامين تتلاءم مع الجزالة والرصانة، من ذلك قوله منتقدا الأديب ضياء الدين رجب: "وأقول للأستاذ - وهوذو الوقار الأرصن، والحجر الأرزن - إنك كبير لدى الخاصة والعامة، وليس تعقبي رنقا في مائك، ولا صدأ في حديدك، وإنما هو اهتمام بخطأ الكبير، والكبير يخطئ، وجل من لايسهو ." [4]

---

[1] الموزون والمخزون ، أبو تراب، ص 104

[2] الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص 81، ومواد البيان، علي بن خلف الكاتب، تحقيق د. حسين عبد اللطيف ، منشورات جامعة الفاتح، 1982م، ص72-73

[3] المقالة في الأدب السعودي الحديث ، د. محمد العوين، 708/2

[4] أوهام الكتاب، ابو تراب، ص 299

وحينما كتب مقالة تحدث فيها عن أوضاع المسلمين في فلسطين المحتلة، واستحث أمته لمقاومة العدو الباغي سيطرت عليه الحماسة والانفعال، فاكتست لغته بنبرة خطابية متأزمة وشاعت الألفاظ الجزلة، والأساليب الرصينة في النص، يقول أبو تراب: "كلنا يا فلسطين، جيشك الأبي في غمغمة الفوارس، ولعلعة المدافع، وأزيز الطائرات، وتوحيد الوثبات، نهضنا ثائرين لكرامتك، مستردين لحقوقنا، لا نهاب مغامرة الحروب، ولا مجادلة السلاح"[1]، ومما تجدر الإشارة إليه - هنا - أن الجزالة ليست سمة للنص بكامله، فقد تأتي اللفظة الجزلة، وبجوارها الرقيقة، وربما تأتي الجمل الجزلة الرصينة، وتعقبها الجمل السلسة الرقيقة، وهذا يقودني للحديث عن الانزياحات الأسلوبية التي تطل علينا في بعض النصوص، ويلفت نظري - هنا - تلك المقالات الرثائية التي زاوج - في بعضها- بين سمتي الجزالة والرقة، فحين تسيطر عليه مشاعر الحزن، وأحاسيس الفقد يجنح للرقة، وإذا عدد مناقب الفقيد، واستدعى صفاته، واعتز بمعرفته نزع إلى الجزالة.

3 - المعجم والتكرار:

دراسة المعجم الدلالي للأديب تفتح لنا تلك آفاقا وقبل إبراز الحقول الدلالية في نثر أديبنا أبي تراب أكرر التأكيد على الثراء المعجمي في إبداعه، فهومعروف بين أبناء عصره بسعة حفظه لمفردات اللغة، واطلاعه الواسع على جمهرة عظيمة من كتبها، فكانت الممارسة للأدب تنزع إلى اللغة التي تفنن - أحيانا - في محاولة إحياء بعض ألفاظها وتراكيبها، مما يعده المتلقي ضربا من التعمية، ولونا من الإلغاز، وقد تواتر الحديث عن هذا الملحظ في أثناء البحث، ولا أرغب في تكريرمعالجته .

وإذا قصدت إلى أبرز الحقول الدلالية المعجمية في نثر أبي تراب أجد أن أبرزها الآتي :

أ – المعجم الديني:

تنصع في نصوص أديبنا الألفاظ والتراكيب القرآنية والألفاظ النبوية فينة لأخرى .

ب – المعجم التراثي:

أبوتراب مولع بالتراث، ينهل من الشعر القديم ونثره. فجاءت جمهرة كبيرة من ألفاظه تحمل إشعاع التراث.

ج – معجم الالفاظ الناقدة:

يحمل نثر أبي تراب ألفاظا وتراكيب ناقدة ذات مستويين:

1 – الألفاظ والتراكيب الدالة على النقد العام التي يستخدمها كل من اشتغل بنقد الآخر.

[1] من مقالة "طلائع الزحف تسحق الصهاينة"، جريدة "البلاد"، العدد 2389

2 – الالفاظ والتراكيب التي تحمل روح السخرية ، والإحساس الغاضب تجاه المنقود فيكون نقدا قارسا.

د – معجم الإشادة والثناء:
خلال تناول هفوات الكتاب البارزين ولتسديدهم يقدم أبو تراب عبارات تطوي على الاعتراف بمكانة المنقود والإشادة بمنزلته.

هـ - معجم الأعلام:
يشيع في نثر ابي تراب كم هائل من أسماء العلماء والمفكرين والأدباء وغيرهم من شتى العور والأزمان.

و – معجم الوجد والشكوى:
مع الشعر كان نثره متنفسا يبث فيه إفرازاته الأليمة وآهاته الشاجية مما كان يعانيه. [1]

وأسجل قبل ختام هذا المبحث بعض الملحوظات المهمة على معجم أبي تراب النثري، ومنها:
1 - التقارب الكبير بين المعجمين الشعري والنثري لأديبنا، وهذا مؤشر يؤكد ارتباط اللغة الوثيق بتجربة المبدع ورؤيته للحياة، وتكوينه الثقافي والفكري، ومدى علاقته بمجتمعه .
2 - تطفو على لغة أديبنا حقول دلالية أخرى جاءت في درجة أقل مما سبق الإشارة إليه، منها: المعجم العلمي، والتاريخي، وغيرها.
3 - معجم الألفاظ الحديثة والمخترعات سجل حضورا ضعيفا بالنسبة لمعاصريه من الأدباء، ومرجع هذا - في تقديري - إلى حبه الشديد، وانكبابه الكبير على لغة الأسلاف، وقد سجل اعترافه بهذا الملحظ في أكثر من مناسبة، منها قوله : "أسلوبي في النثر ممتاح من أساليب اللغويين القدامى، وهويمتاز بهذه الصفة دون كتابة العصر الحديث التي لا طعم لها عندي " [2] .
4 - سجلت الألفاظ الصوتية حضورا واضحا في لغة أديبنا النثرية، وأقصد بها: تلك الألفاظ التي تخاطب أذن المتلقي، وتقرع سامعيه، وترسم صورة سمعية توحي بإحساس المبدع، وتسهم في رسم المعنى بصورة بالغة الدقة، من ذلك مثلا: قعقعة /وسوسة / لعلعة /دبيب /صاخة /دوي /أزيز /لاغطون /أسجاع /الهمس/دندنة.

---

[1] المقالة في الأدب السعودي الحديث ، د. محمد العوين، 723/2

[2] من مقابلة أجريت معه في مجلة اقرأ، سبق الإشارة إليها

5 - مع اهتمام أديبنا البالغ بلغته، وعنايته الفائقة بأساليبه إلا أنه وقع في بعض الأخطاء الشائعة التي جاهد في التحذير منها، وبذل جهدا كبيرا في بحثها، وهذه الأخطاء معدودة فينثره منها لفظة "فترة" و"ثنايا" و"هام". [1]

أما **التكرار** فإنه من أوفى الظواهر الأسلوبية حضورا في نثر أبي تراب، وتبدو قيمته الفنية الجميلة حينما تلح الحاجة في استدعائه، ويتصل بحاجة المخاطب، ويحقق غاية من غاياته المعلومة كالتقرير، والتوبيخ، والتنبيه، والحث، وغير ذلك.

ألوان التكرارعند كاتبنا:
أ - التكرار اللفظي
ب – تكرار الصيغ والتراكيب
ج – التكرار الحرفي

4 – المحسنات البديعية:
إن أبرز الفنون والمحسنات البديعية التي توجد في نثر أبي تراب هي:
- السجع
- الجناس
- الطباق والمقابلة
- الموازنة [2]

5 – الاستطراد
وهو "أن يخرج المتكلم أو الكاتب عن سياق الموضوع المطروح للبحث؛ ليعالج قضية تحتاج إلى توضيح؛ للعلم بالشيء، أولإدخال فكرة ما بطريقة غير مباشرة، أو للاتهام، أوالنقد،أوالوقوف عند قضية يريد الكاتب أن يركزعليها. وقد امتدحه النقاد القدامى، وجعلوه ضربا من البلاغة دقيق المجرى، غزير الفوائد، يستعمله الفصحاء، ويعول عليه أكثر البلغاء. وفي العصر الحديث أضحى الاستطراد معيبا؛ إذ فيه تشتيت للذهن، ومخالفة للنهج العلمي في الكتابة والتأليف، ومجافاة للوحدة الموضوعية المنشودة.
وبالنظر إلى نثر أبي تراب أجد هذه الظاهرة واضحة المعالم، ودائمة التواتر، ومرد هذهالظاهرة فيما يبدو إلى أسباب من أبرزها :

---

[1] الموزون والمخزون ، أبو تراب، ص 305

[2] فن المقالة في المملكة، د. محمد نجم ، ص 98

1- الموسوعية العلمية، والثقافة المتمددة، والقراءات المتفرقة، التي ولدت معلومات متنوعة تتدافع إلى ذهنه في أثناء الكتابة، وتلح عليه، فيستجيب لإلحاحها، ويضيق ذرعا من احتباسها .
2 - الولع الواضح بمناهج القدماء في التأليف والكتابة يجعل هذه الظاهرةغير مستنكرة في نثره .
3 - الأثر النفسي الناتج منقلة العارفين بمكانته العلمية والثقافية، وتبرمه من تجاهل المؤسسات العلمية والفكرية لمنزلته، وصعود أقوام على رغم تصاغرهم أمامه، كل هذه الأمور وغيرها تدفعه لإثبات ذاته، وإبراز موسوعيته للمتلقي عنطريق منافذ الاستطراد المتاحة [1].

وقد قامت جملة من مقالات أبي تراب على الاستطرادات، والأفكار المتبعثرة، والسوانح الحاضرة، فألفيت عددا من مقالاته مضمنة أفكارا ليست بينها روابط فكرية، أو حتى زمنية، وإنما هي شوارد منكتب، أوتعليقات من الذهن، أو رواية لتجارب الحياة، وهذه الاستطرادات مقصودة، ومنظمة، يفصل بينها عنوانات جانبية ظاهرة، وخير ما يمثل هذا اللون سلسلة مقالاته: "طرائف رمضان" و"أسمار رمضان" و"الأوابد والأسمار ".

ومن مظاهر الاستطراد عند أبي تراب الاستطراد اللغوي، والاستطراد في المسائل الشرعية، والاستطراد في الحديث عن الفنون البلاغية.

6 – الاقتباس والاستشهاد:

أ - الاقتباس:

الاقتباس في نثر أبي تراب ينقسم قسمين:

1 – الاقتباس الجلي (المباشر): هذا النوع هو الأوفى في نثر أبي تراب إذ يعمد إلى إدراج الآية القرآنية أو الحديث النبوي ضمن نصوصه بدون أي تغيير فيه.

2 – الاقتباس الخفي (غير المباشر): هذا النوع أقل حضورا في نصوص أبي تراب. وهذا الاقتباس يعني تضمين أي آية قرآنية أو حديث نبوي بروحه أو بمعناه.

ب – الاستشهاد:

تبرز هذه الظاهرة في نثر أبي تراب لحفظه أكثر من عشرة آلاف بيت وعددا بالغا من الحكم والأمثال. وله طرق للاستشهاد:

1- الاستشهاد المباشر بالبيت الشعري كاملا مع نسبته إلى قائله.

2 – الاستشهاد بشطر البيت مع نسبته إلى قائله.

3 – الاستشهاد بالبيت الشعري من دون نسبته إلى قائله.

4 – إدراج الشكر الشعري ضمن النثر من دون إفراده بالكتابة الشعرية.

---

[1] صحيفة "المدينة"، رمضان، 1403هـ

5 – الاستشهاد بالحكم والأمثال.
6 – تلمع في نثر أبي تراب بعض الجمل والتراكيب المحيلة إلى نص شعري بعينه.[1]

ج – الصورة:
الخيال عنصر أساس من عناصر المقالة الأدبية، ومعيار من معاييرتقويمها، وعنصر وظيفي يعكس عاطفة الأديب، ويفصح عن أحاسيسه، وهو عنصر تمييز للمقالة الأدبية بين فنون المقالة؛ لأداء انفعالات الكاتب، وحقائقه، وأفكاره، فإذا استطاع الكاتب أن يسبغ على ما عنده من معان وحقائق حرارةمن عاطفته وحيوية من خياله كانت مقالته رمية مؤثرة حية قوية.
وأبو تراب الظاهري يفزع إلى التصوير لبسط أفكاره، وتسجيل انفعالاته، ويتخذ من الصورة أداة يرسم بها مسارب الأحاسيس، ودقائق الأحداث، وبها يستطيع إيصال ما لا تستطيع الحقيقة أن توصله، ويجدفيالصورة مصدر الإبداع الأول. ويحسن بي في دراستي للصورة الفنية أن أقدم مصادرالصورة الفنية في نثر أبي تراب، وأنواعها، وأثر الحواس في إثرائها بغاية من الإيجاز:

أولا: مصادر الصورة:
أبرز مصادر الصورة في نثر أبي تراب هي كما يلي:
أ – القرآن والسنة: أبو تراب رجل متدين وخبير العلوم الشرعية فهي له مصدر أساسي.
ب – الطبيعة الصامتة: الملامح الطبيعية لقريته والمشاهد الطبيعية الخلابة التقط منها صورا.
ج – الطبيعة المتحركة: الصور الحسية المتحركة مثل الإبل والغنم منبع يستمد منه أبو تراب الصور لنشأته في القرية وتأثره بها.
د – التكوين التراثي: هناك صور خيالية رمزية استمدها من التراث القديم.
هـ - الإنسان: يتخذ أبو تراب من أعضاء الإنسان وخواصه مطية لتمثيل المعنى وتقريبه بدقة للمتلقي.
و – اللغة: يمتلك أبو تراب ثروة لغوية هائلة مما تحصل له فرصة لتوليد كم من الصور المختلفة.

ثانيا: أنواع الصورة:

أ- الصورة المجازية:
أبرز ألوان الصورة المجازية حضورا في نثر أبي تراب هي كما يلي:
1- الاستعارة أبرز ألوان الصورة عند أبي تراب التي استعان بها لرسم أفكاره ومشاعره الدقيقة.

[1] الموزون والمخزون، ص 182

2 - التشبيه هو الجناح الثاني من أجنحة الصورة المجازية عند أبي تراب، واتخذه وسيلة أخرى للتوضيح والمقاربة والشرح والبيان.
3 – الكناية هي اللون الثاني من ألوان الصورة المجازية عند أبي تراب، ويستعين بها للإبهام على السامعين وتحسين اللفظ وتعزيز الكلام وتزيينه والنيل من الخصم. [1]

ب – الصورة الرمزية:
يكون هذا في صورة رمز عام عند أبي تراب إذ كفل المخزون التراثي الهائل في ذهنه بروز عدد من الصور الرمزية العابرة من العصور السالفة.

ج – الصورة الحقيقية (الإيقونية):
تطل علينا بعض الصور الجميلة المؤثرة في نثر ابي تراب ، من دون أن يلجأ في رسمها إلى الوسائل المجازية، وهذا اللون من الصور سماه النقاد بـ " الصورة الحقيقية" أو "الإيقونية".

ثالثا: الصورة والحواس:
يستنتج عن الخيال أن الحس شرط ضروري لوجود الخيال سواء كان حاصلا من القوى الظاهرة مثل الحواس الخمس أو من الحس المشترك.
إن من مهام الصورة أن تمثل المعاني الذهنية المجردة تمثيلا حسيا يمور بالحركة والحياة. وأبو تراب اتخذ من الحواس الخمس وسيلة لتقريب المعاني وتجسيدها أمام المتلقين، ومن ثم التأثير فيهم، ولفت انتباههم، وتحريك مشاعرهم. ومن أكثر الحواس التي استعان بها أبو تراب في رسم صوره هي حاسة البصر، وهي أشرف الحواس وأكثرها إذكاء للخيال، وزاد من وفرتها كثرة مشاهدات أبي تراب وتنقلاته مع دقة بالغة.
وتكثيف الصور البصرية في إطار ضيق والتقاط بعض المشاهد المتحركة يسهم في تقريب الفكرة وتحسين الأسلوب.
أما الصورة الصوتية فهي تأتي في المرتبة الثانية ، وستعان بها أبو تراب لرسم الصور الكاريكاتورية .
ويرسم أديبنا بعض الصور مستعينا بحاسة الشم والذوق.
أما حاسة اللمس فإن استثمارها في رسم الصورة قليل، لم يستعن بها إلا لتصوير حال الرقة واللين.
لقد استثمر أديبنا الحواس الخمس في استعاب صوره، وتوصيلها إلى المتلقي بما يلامس شعوره، ويهز وجدانه، ويقرب ملامح الفكرة إليه. واستحوذت حاسة البصر على أغلب الصور ، فهي الحاسة الأكثر استيعابا لمظاهر الحياة وتوليد الخيال.[1]

[1] أبو تراب الظاهري العالم الموسوعة أو سيبويه العصر، علوي الصافي، ص 67

خاتمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد:

فها هي الوقفة الأخيرة في هذا البحث الذي طوفت فيه مع علم من أعلام الأدب السعودي الحديث، وقد بدأت رحلتي بباب تناولت فيه الأحوال السياسية والثقافية والاجتماعية والعلمية والأدبية للقارة الهندية والسعودية وهذا في الفصلين الأول والثاني وتعرضت في الفصل الثالث بذكر أبرز ملامح حياته، وألمع المؤثرات في أدبه، وقمت خلاله بتبديد الغموض الذي يلتف على اسمه ونسبه، ثم انطلقت من القارة الهندية حيث ولد أديبنا في عام 1343هـ - 1923م على أرجح الأقوال، و نشأ في كنف والديه في بيئة محافظة، وبيت متدين، ولمس والده الشيخ عبد الحق الهاشمي من ابنه فطنة وذكاء، وقدرة على الحفظ فوجهه إلى حلقات العلم، وتكثيف القراءة، فاستجاب ابنه أبو تراب فلهث وراء البحث والمعرفة، وانشغل بالبحث والحفظ، وعندما بلغ أربعة وعشرين عاما انتقل – مع والده – إلى الحجاز، وهنا تبدأ مرحلة أخرى من حياته، فالاستقرار في الحجاز، وكثرة الحلقات العلمية في المسجد الحرام، ووفرة المكتبات العامة والخاصة، كل هذه العوامل وغيرها تروي نهمه العلمي، كماوجد في الحركة الأدبية الحجازية ما يجذبه نحوها، فاقترب من أدبائها، فوجدهم ووجدوه، وكان هذا التعرف عتبة أولى لمشوار أدبي طويل، ومن أرض الحجاز يرحل أديبنا إلى بلدان متفرقة، ويطوف العالم شرقا وغربا، وكان الهدف العلمي والدراسي حاضرا فيأغلب تلكالرحلات.

وفي هذا الفصل أفردت حديثا عن حياة أبي تراب العلمية والفكرية، التي نبعت إما من حلقاتعلمية، أومن دراسة منهجية وصل إلى أعلى درجاتها بحصوله على درجة الدكتوراة، وربما كان من أبرز مصادر علمه وثقافته التثقيف الذاتي المتوالد منإدمان القراءة، وكثرة البحث والتنقيب في مكتبته الضخمة.

أما أعمال أبي تراب فقد تناولتها في مبحث آخر، وحاولت أن أسوقها على حسب تدرجها التاريخي، وهيأعمال لم تغادرالباحة الصحفية والإعلامية.

ثم ختمت هذا الفصل بحديث سريع عن وفاته التي كانت في الحادي والعشرين من شهر صفر عام 1423هـ - 2002م..

وفي هذا الفصل من الباب الأول ذكر أبرز آثار أبي تراب، ومنها : المؤلفات التي بلغت زهاء الستين، والنشاط الصحفي المتمدد عبر صفحات الصحف والمجلات السعودية، وكذا ندواته ومحاضراته المنحصرة في إثنينية الأستاذ عبدالمقصود خوجة، وفي سبع محاضرات

---

[1] الموزون والمخزون، ص 225

ألقاها في النادي الأدبي المكـي والجـدي، ومحاضرات علمية أخرى وجدتها مخطوطة في بقايا خزانته، وتبقى لأديبنا آثار إعلامية إما تلفازية، أوإذاعية، كان من أنصعها برنامجه الشهير شواهد القرآن.

وفـي الفصل الرابع من الباب الأول استعرضت أبرز العوامل المؤثرة فيأدبه، وحاولت الاقتـراب مـنالعـوامل المباشـرة، والـنأي عـن العـوامل العامة التي كثر ترددها فـي كـتب الدارسـين لـلأدب الـسعودي، ووجـدت أن أبـرزالعوامل المؤثرة في أدبـه: البيـئة الأدبـية، ومكتبـته الـضخمة، وأصـدقاؤه الأدبـاء، وتديـنه، وعمله الـصحفي والإعلامـي، وقـوة حفظـه، وحدته، وفقره، وكبرسنه، وعمقه اللغوي، ورحلاته.

أمـا الـباب الثانـي فقد أفردته لدراسة الشعر، ففي الفصل الأول تناولت أبـرز المـضامين الـشعرية لأبـي تراب، وهي: المديح، والرثاء، والشكوى، والعتاب، ووجـدت أن الـنفس الشعري فـيها مـتفاوت، فقـصائد نـضبت مـن النـبض العاطفـي، واتـسمت بالتـصنع والـتكلف، وأخـرى تجلـت فـيها الـروح الـشعرية، ولامـست الأحاسـيس، وبـدا فـيها الـوهج العاطفـي الـصادق، وربمـا غلـب على المديح أن يكون من الصنف الأول، واقترب الشعر الشاكي من اللون الثاني.

وفـي الفـصل الثانـي مـن هـذا الـباب بـدأت رحلة التقويم لشعر أبي تراب، فبـناء القـصيدة يـؤكد انـتماء شاعرنا إلى المدرسة التقليدية المحافظة، ولغته الـشعرية نـزع فيها - أحيانا- إلى الأداء المعجمي، فجاءت في منأى عن المتلقي، واحتجـبت بالغـريب اللفظي، والنسيج المتكلف، وحينما يصدر أديبنا من أحاسيسه ينعتق من الصناعة اللفظية، ويأوي إلى ركن الشعر الجميل.

ثـم تلمست مظاهر الجزالة والرقة في شعر أبي تراب معتمدا على معيار ابن المعـتمد علـى المـضمون أسـا يبنـي علـيه المفارقة بين الجزل والرقيق، فـوجدت أبـا تـراب قـد زاوج بـين المـضامين الرصينة حـال المـديح، والوصـف، والمـضامين الـرقيقة حـال الـشكوى والعتاب، فكان أثر المضمون منعكسا على لغته، وظاهرا في صياغته.

ودراسـة المعجـم الـشعري أكـدت لـي مـن جديـد التـصاق أديبـنا بالمدرسـة المحافظـة، فقد تـرددت حقـوله الدلاليـة بـين ألفـاظ دينـية، وأخرى تراثية، وثالثةعلمية، وكانت اللغةالشاكية حاضرة فيالميدان أيضا.

أمـا التكـرار فهـو ظاهـرة واضـحة المعـالم فـي شـعر أبي تراب، وتلون بين تكـرار حرفـي، ولفظي، وتركيبي، وبديعي.

وفي الباب الثالث درست نثر أبي تراب، وقسمت الباب إلى فصلين، الأول: تـناولت فيه مضامين النثر، فالمقالة تنوعت بين تاريخية، ودينية، ووجدانية، ونقديـة، أما محاضـراته فقد سـلطت

الضوء على الأدبي منها والنقدي، وأدركت أن أبا تراب يملك قدرات نقدية متميزة، لم تستثمر كما يجب.

ثم أعقبت هذا الفصل بفصل آخر اعتنيت فيه بالدراسة الفنية لنثر أديبنا، فبدأت بهيكل المقالة، ثم درست لغتها وأسلوبها، وتبين لي أن أديبنا فتق اتجاها لغويا فيكتابة المقالة السعودية، فهو في معالجاته المتباينة يعتني –في الغالب - بانتقاء ألفاظه، وصياغة أسلوبه،بطريقة يندرأن يكتب بها أبناء عصره.

ثم ختمت حديثي عن الخصائص الفنية بحديث عن الصورة، وأبرز مصادرها، وأنواعها التي لم يخلو بعضها من تجديد، وأثر الحواس في تحريك الصور، وتعميق أثرها، وتقريبها من المتلقي.

إن هذه الدراسة التي تناولت فيها حياة أبي تراب وشعره ونثره تقودني إلى بعض النتائج المهمة فينظري، ومنها:

1 - أن ما كتب عن شخصية أبي تراب من بعض الدارسين، أو المترجمين يشوبه مغالطات واضحة، وخلط ظاهر، مصدره فيما يبدو النقل من مصدر متقدم من دون تمحيص أو مراجعة، وفي الحديث عن اسمه، ومكان ولادته، وأعماله - مثلا- ما يكشف عن هذا الخلط.

2 - التأكيد على موسوعية أبي تراب، وتنوع ثقافته، وتلون علومه، فهو شخصية لم يرد لها التخصص، فهو الأديب، والفقيه، والمفسر، واللغوي، والمثقف، والمفكر ... ولا ريب أن هذه الموسوعية أثرت مضامين مقالاته، ومنحته فرصة أرحب للرد والنقاش مع خصوم من مختلف التخصصات.

3 - اتضح لي من خلال دراسة شعر أبي تراب التباين الكبير بين قصائده، فشطر منهاتعلوه الصنعة، ويغشاه التكلف ولا تحس في أثناء قراءته إلا برصف الألفاظ، وتسديد الوزن، وعلى خلاف هذا الصنف لون آخر من القصائد ينبض بالعاطفة، ويزدان باللغة الشاعرة، وبينهذا وذاك درجات بعيدة، وبون شاسع.

4 - أدبية أبي تراب تبدوفي النثر أعلى منها في الشعر،فهو ناثر أولا، وشاعر ثانيا.

5 - تبين لي بعد هذه الدراسة انتماء أبي تراب إلى مدرسة المحافظين، فإليها ينتسب، وعنها ينافح.

6 - مـن الممكـن أن أقـول : إن أبـا تـراب رائـد الاتجـاه اللغـوي فـي كـتابة المقالـة الـسعودية، فهو يكتب - في الغالب- بلغة انتقائية يحرص فيها على التجويد اللفظي، والرصانة الأسلوبية .

7 - وقف أديبنا من قضية "الحداثة "و"العامية " و"النثيرة "وغيرها مواقف مـشرفة، فكان درعا حصينة، وحارسا أمينا على لغة القرآن، والثوابت، إلا أن هـذه المواقـف لـم يـشر إلـيها - فـي حـدود اطلاعـي - معقوتها وصرامتها .

8 - وجـدت عند عدد من الدارسين والمترجمين لأبي تراب ذما لأسلوبه، فهو مـوغل فـي دركـات الغـريب، كثير التصنع، دائم التكلف، وهذه أحكام عامـة لا يـسوغ إطلاقهـا مـن دون دراسـة وافـية، وفـي تقديـري أن هـذه الأحكـام تـصدق علـى شـيء مـن أدبـه، ولا تـصدقعلـى شطر آخر، فالمتأمل فيأدبه يلحظ كما وفيرا من النماذج الأدبية المتميزة.

ومن التوصيات التي أجدها جديرة بالعناية والاهتمام بعد هذه الدراسة: أن تجمـع مقـالات أبـي تـراب فـي جمهـرة واحدة كما جمعت مقالات الشيخ محمود شـاكر فـيكون فـي جمعهـا لملمـة لأطـراف تلك المقالات التي حـوت علمـا وفكـرا وأدبـا، فيفـيد الباحـثون والدارسـون مـنها فـي تخصصات مختلفة.

كمـا أحـث الدارسـين والمتخصصين في الحقول العلمية الأخرى أن يلتفتوا إلـى هـذا العلم الشامخ، فهو المفسر، والفقيه، واللغوي، والمؤرخ، فأرجوأن يجـد هـذا الـنداء مـنأهـل الاختـصاص مـن يـبعث تـراثه، وينـشر علمه في أقرب فرصة.

وبعد : فإنني أحمد المولى الكريم على تمام النعمة، وأرجومنه دوام التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

الكتب:

1. أبو تراب الظاهري "العالم الموسوعة أو سيبويه العصر "، علوي الصافي، نشر: المجلة العربية، العدد الثمانون، شعبان 1424هـ/أكتوبر 2003م.
2. الاتجاه الفني في تراثنا النقدي والبلاغي، د.أحمد السويلم ، ط، مطبوعات النادي الأدبي في القصيم، 1415 هـ.
3. آثار حسين سرحان النثرية "جمعا وتصنيفًا ودراسة"، د.عبدالله الحيدري، ط 1، منشورات النادي الأدبي في الرياض، 1426هـ - 2005م.
4. الأثر المقتفى لقصة هجرة المصطفى، أبو تراب الظاهري، ط 1، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، 1404هـ/1984م.
5. الإثنينية، ط 1، نشر عبدالمقصود خوجة، جدة، 1413هـ/1992م.
6. الأدب الحجازي بين التقليد والتجديد، د.إبراهيم الفوزان ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1401هـ/1918م
7. الأدب الحجازي في النهضة الحديثة، أحمد أبو بكر إبراهيم ، مكتبة نهضة مصر، 1984م.
8. الأدب الحديث "تاريخ ودراسات"، د. محمد بن سعد بن حسين، ط 6 ، دار عبدالعزيز بن محمد بن حسين، الرياض، 1418هـ/ 1997م.
9. أدب المقالة، د.عبدالعزيز شرف، ط 1، مكتبة لبنان "ناشرون " بيروت،1997م.
10. أدب المقالة الصحفية في مصر، د.عبداللطيف حمزة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة الطباعة غير مذكورة
11. أسس النقد الأدبي عند العرب ، أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، القاهرة ، سنة الطباعة غير مذكورة
12. الأسلوب " دراسة لغوية إحصائية " د.سعد مصلوح، ط 3، عالم الكتب، القاهرة، 1412هـ/1992م.
13. أصحاب الصفة ، أبو تراب الظاهري، ط 1، جدة : دار القبلة للثقافة الإسلامية، 1404هـ/1984م.
14. إعلام أهل الحاضر برجال من الماضي الغابر، أبو تراب الظاهري، ط 1، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة، 1405هـ/1985م .
15. إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، د.إبراهيم الفوزان،:مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ، 1401هـ/1981م.
16. أوهام الكتاب ، أبو تراب الظاهري، ط 1، دار البلاد للطباعة والنشر، النادي الأدبي الثقافي في جدة، 1403هـ/1982م.

17. التحقيقات المعدة بحتمية ضمِّ جيم جدة، عبدالقدوس الأنصاري، عبدالفتاح أبو مدين، أبو تراب الظاهري، مطابع الأصفهاني ، جدة، 1385هـ .

18. تطور الصحافة في المملكة ، عثمان حافظ، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، سنة الطباعة غير مذكورة.

19. التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية ، محاضرات عبد الله عبدالجبار، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، 1959م.

20. التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث، د. طلعت صبح السيد، ط 1 ، دار عبدالعزيز آل حسين، 1402هـ/1999م.

21. الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكري شيخ أمين، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م.

22. دليل الأدباء والكتاب في دول مجلس التعاون ودول الخليج العربية، د.ن، 1422هـ/2001م.

23. دور المملكة العربية السعودية في تطوير الأدب، د. محمد أنور حفيظ الندوي، مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة ، د.ت.

24. ذهول العقول بوفاة الرسول ، أبو تراب الظاهري، دار القبلة للثقافة الإسلامية، 1404هـ/1984م.

25. سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو تراب، ط 1، مطبوعات تهامة ، 1404هـ/1984م.

26. السيرة الذاتية في الأدب السعودي، د.عبدالله الحيدري، ط 2، دار طويق للنشر والتوزيع، 1424هـ/2003م .

27. شعراء من المملكة العربية السعودية مع مقدمة وفصول في النقد، محمد محمد شَّراب، ط 1، دار المأمون للتراث، دمشق، 6241هـ/6002م.

28. الشعر في الجزيرة العربية، د.عبد الله الحامد، ط 1، دار الكتاب السعودي، 1406هـ/1986م.

29. الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية، د.مسعد العطوي، ط 2، نشر: المؤلف، 1402هـ.

30. الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية ، د.مسعد العطوي، نشر: المؤلف، سنة الطباعة غير مذكورة

31. شواهد القرآن، أبو تراب الظاهري، "الجزء الأول "، ط 1، النادي الأدبي الثقافي في جدة، 1404هـ/3891م.

32. شواهد القرآن، أبو تراب الظاهري، " الجزء الثاني"، ط 1، النادي الأدبي الثقافي في جدة ، 1409هـ/1989م.

33. العنوان في الأدب العربي "النشأة والتطور"، د. محمد عويس، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1408هـ/1988م.

34. فتكات الأسد في مقاعد القتال بأحد، أبو تراب، ط 1، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، 1415هـ/1985م.

35. فن المقالة، د.محمد يوسف نجم، ط 1، دار صادر للطباعة والنشر؛ بيروت 1969م.

36. في الأدب السعودي ، د.محمد العيد الخطراوي، ط 1، النادي الأدبي في حائل، 1421هـ/2000م.

37. في الأدب السعودي "مقالات وبحوث" د.حمد الدخيل، ط 1، النادي الأدبي في جازان، 1402هـ/1999م

38. في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، د.عبدالله الحامد.- ط 2، دار الكتاب السعودي، الرياض، 1406هـ.

39. كبوات اليراع ، أبو تراب الظاهري، ط 1، نشر: النادي الأدبي الثقافي في جدة، 1402هـ/1982م.

40. لجام الأقلام ، أبو تراب الظاهري، ط 1، جدة : منشورات تهامة، 1402هـ/1982م.

41. لسان العرب ، لابن منظور، دار صادر، بيروت، سنة الطباعة غير مذكورة

42. محاضرات النادي الأدبي الثقافي في جدة ، المجلد الخامس، دار البلاد للنشر والتوزيع، جدة، سنة الطباعة غير مذكورة.

43. محاضرات النادي الأدبي الثقافي في جدة ، المجلد السادس، دار البلاد للنشر والتوزيع، جدة، 1409هـ/1988م.

44. محاضرات نادي مكة الثقافي، ط 1، نشر : النادي، 1410هـ/1990م.

45. المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، د.علي علي مصطفى صبح، ط 1، مطبوعات تهامة، جدة، 1404هـ/1984م .

46. معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ط 1، نشر : مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الخيرية ، 1995م.

47. معجم المطبوعات العربية في المملكة، علي جواد الطاهر، ط 2، دار اليمامة للبحث والترجمة، 1418هـ/1979م.

48. المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث، د.عطاء كفافي، ط 1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، 1405هـ/1985م.

49. المقالة في الأدب السعودي الحديث من سنة 3431-0041هـ، د.محمد العوين، ط 1، نشر المؤلف، 2141هـ/1992م.

50. الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ، د.عمر الطيب الساسي ، ط 1، مطبوعات تهامة، 1406هـ/1986م.

51. الموزون والمخزون ، أبو تراب الظاهري، ط 1، مطبوعات تهامة، 1402هـ/1982م.

52. موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خ لال مئة عام من 1319-1419هـ، أحمد بن سعيد بن سلم، ط 2، نشر: النادي الأدبي في المدينة المنورة، 1402هـ/1999م.

53. موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث "نصوص مختارة ودراسات" المجلد الثالث : المقالة ، د.مرزوق بن تنباك، ط 1، المفردات للنشر والتوزيع والدراسات، 1422هـ/2001م.

54. النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، د. حسن الهويمل، مطبوعات الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، 1419هـ/1999م.

55. نسيج الإبداع "دراسات في الخطاب السعودي المعاصر الجديد"، عبد الله السمطي، ط 1، المفردات للنشر والتوزيع والدراسات، 1424هـ/ 2003م.

56. نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية، د.محمد الشامخ، ط 1، دار العلوم للطباعة والنشر، 1402هـ/1982م.

57. نظرات في الأدب السعودي، راضي صدوق، ط 1، دار طويق، الرياض، 1414هـ/1993م.

58. النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية " نشأته واتجاهاته"، د. سلطان سعد القحطاني، ط 1، مطبوعات النادي الأدبي في الطائف، 1424هـ/2003م.

الديوان المخطوط:

1. بث الكث في الغث والرث ، ديوان شعر، لأبي تراب الظاهري، نسخة مخطوطة موجودة في مكتبة العلامة شبلي النعماني، ندوة العلماء ، لكناؤ

الجرائد والمجلات والدوريات:

1. جريدة عكاظ، العدد 10846، 1423/3/18هـ.

2. أبو تراب شيخ علماء اللغة، عبدالله خياط، جريدة عكاظ، العدد13041، 1423/3/28هـ

3. أبو تراب الظاهري، د.عبدالله الغذامي، جريدة الرياض، العدد 12379، 1423/3/4هـ.

4. أبو تراب الظاهري، محمد حسن عواد، جريدة البلاد، العدد 1635، 1384/2/11 هـ

5. أبو تراب الظاهري، محمد حسن فقي، جريدة البلاد،العدد 7184 ، 1403/27هـ.

6. أحداث رمضان (سلسلة مقالات)، أبو تراب ، جريدة البلاد ، نشرت في شهر رمضان عام 4831هـ.

7. الاستهلال وأثره في بناء النص، ماجد الجعافرة ، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي في جدة ، العدد 19، محرم 1426هـ.

8. الاستيصاء بالضعفاء، أبو تراب ، جريدة البلاد، العدد)5738(1407/2/2هـ

9. الإسلام يدعو إلى العمل والكسب (مقالتان)، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية، الأعداد 2629، 27-1377/5/28هـ.

10. أسمار رمضان (سلسلة مقالات)، أبو تراب، جريدة عكاظ، نشرت في رمضان 1385هـ.

11. أسمار رمضان (سلسلة مقالات)، أبو تراب ،جريدة المدينة ، نشرت في رمضان 1398هـ.

12. أغنياء الصحابة (سلسلة مقالات)، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية ، نشرت في عام 1377هـ.

13. أفاويق (سلسلة مقالات)، أبو تراب، جريدة البلاد، نشرت في عامي 1386هـ/ 1387هـ.

14. الأفاويق (سلسلة مقالات)، أبو تراب، جريدة المدينة، نشرت عام 1400هـ

15. أفواه القِرَب في الردِّ على الذهب، أبو تراب، مجلة الرائد، العدد 111، 1381/11/26هـ

16. أماه لك الجنة ، أبو تراب، جريدة البلاد، العدد9014 ، (1409/4/4هـ.

17. إنا على فراقك لمحزونون، عبدالله الشمراني، جريدة الجزيرة، 1423/3/16هـ

18. الأوابد والأسمار (سلسلة مقالات)، أبو تراب، جريدة المدينة، نشرت عام 1403هـ.

19. أوهام الكبار ، أبو تراب ، جريدة البلاد السعودية ، بدأ في نشرها عام 1381هـ.

20. بالرفاء والبنين ، أبو تراب ، جريدة البلاد السعودية، العدد 2417، 1376/9/1

21. بحث لغوي هام جامع، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية، 1378/2/10هـ

22. بين دعاوة ودعابة ياسين وضياء الدين رجب، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية، العدد 823، 1381/5/6هـ

23. تحقيق عن الوزغة والحرباء ، أبو تراب، مجلة المنهل، المجلد 12، جمادى الآخرة 1380هـ، ديسمبر 1960م.

24. ترجمة موجزة لأبي تراب، جريدة عكاظ، 1423/2/22هـ.

25. تعقب الأوهام (سلسلة مقالات)، أبو تراب، نشرت في مجلة الرائد.

26. تقريظ لشاعر الغزل حسين سراج، أبو تراب، جريدة البلاد، العدد 8118، 1406/3/19هـ.

27. جعجعة ولا طحن ، أبو تراب ، جريدة البلاد السعودية، العدد 3455، 1376/10/22هـ.

28. الحركة النقدية في المملكة انبثاق إقليمي أم تشكل ذاتي، د.حسن الهويمل، مجلة الفيصل، العدد 233 ، ذو القعدة 1416هـ/إبريل 2001م

29. الحواظ ر والخواطر(سلسلة مقالات) ، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية، نشرت بين عامي 1376-1378 هـ.

30. الخلاف المذموم ، أبو تراب، جريدة البلاد، العدد 8124، 1406/3/26هـ.

31. رجل رأي وحنكة، أبو تراب، ملحق الرسالة، جريدة المدينة، العدد 13870، 1422/1/20هـ

32. رمز الصحافة حسن قزاز ،أبو تراب، ملحق الرسالة، جريدة المدينة، العدد 13741، 6/ديسمبر/2000م.

33. الزند الكنكاري لاقتداح المليباري، أبو تراب، جريدة البلاد، العدد 8392، 1407/2/23هـ

34. سلسل الشعر(قصيدة)، أبو تراب ، مجلة المنهل، العدد 437، ذوالقعدة 1405هـ/أغسطس 1985م.

35. شباب الإسلام ، أبو تراب، جريدة البلاد ، العدد 8076، (1409/1/29هـ.

36. الصلابة في الدين ليست في الغلو والتطرف، أبو تراب، جريدة البلاد، العدد 8656 ، 1408/1/14هـ.

37. الصور البلاغية في القرآن الكريم (سلسلة مقالات)، أبو تراب، مجلة المنهل ، نشرت في عام 1407هـ.

38. طرائف رمضان)سلسلة مقالات(، أبو تراب، جريدة عكاظ، نشرت عام 1384هـ.

39. ظماءة الشعر إلى ري القريض، أبو تراب، جريدة المدينة، 1386/12/15هـ

40. فيصل بن فهد : فقيد الشباب ، أبو تراب، ملحق الرسالة، جريدة المدينة، العدد 13272، 1402/5/10هـ.

41. قالوا :إن الحج كشفٌ سياحي، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية، 1379/12/19هـ.

42. قد أقمت الحدود وهي تواهى "قصيدة"، أبو تراب الظاهري، جريدة البلاد، العدد 1758، 1384/7/7هـ.

43. القسطل يغير مجرى حياة عبدالجميل، جريدة الندوة، العدد 7623، 1404/7/3هـ.

44. قصة الهجرة النبوية، أبو تراب، جريدة عكاظ،1386/1/1هـ.

45. قيد الصيد (سلسلة مقالات)، أبو تراب، مجلة المنهل، نشرت في عام1403هـ.

46. الكوفة وتاريخها (مقالتان)، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية، العدد 2428 ، 2431، نشرت في شهر رمضان عام 1376هـ.

47. كيف عرفت أبا تراب، أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، المجلة العربية، العدد 95، ذو الحجة 1405هـ/ديسمبر 1985م.

48. لا، بل إنها تميمية يا عاشور، أبو تراب ، جريدة البلاد السعودية،1377/7/11هـ.

49. لكل كلام يا بثين جواب، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية، 1377/7/31هـ.

50. لنستثن توفيقاً من نصب الاثنين، أبو تراب ، جريدة السعودية، 1379/21/82هـ.

51. ما هكذا يا سعد ، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية، 1377/7/11هـ.

52. محمد عبدالرزاق حمزة : محدث عصره، أبو تراب، ملحق الرسالة، جريدة المدينة، العدد 13872، 1422/1/22هـ.

53. مروان بن الحكم الأموي (سلسلة مقالات)، أبو تراب ، جريدة البلاد السعودية، نشرت في ربيع أول عام 1377هـ.

54. مشجر وائل"قصيدة"، أبو تراب، جريدة عكاظ، العدد 961، 1387/8/2 هـ

55. من أدبائنا الراحلين : عبدالله فداء كتبي، أبو تراب، جريدة البلاد، العدد 8405، 1407/3/7هـ.

56. من تعليقاتي : قالوا وقلنا حول الشعر المنثور(مقالتان)، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية، العدد)6252 ، 7252(42 ، 7731/1/52هـ.

57. من علماء الكيمياء (سلسلة مقالات)، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية، نشرت في جمادى الآخرة عام 1377هـ.

58. المهابة والمثابة عند البيت الحرام ، أبو تراب، جريدة البلاد، العدد 9020، 1409/4/11هـ.

59. مواعظ رمضان (سلسلة مقالات) ، أبو تراب، جريدة البلاد ، نشرت عام 1385هـ.

60. موزون ومخزون (سلسلة مقالات)، أبو تراب ، جريدة البلاد، نشرت عام 1385هـ.

61. نادر في الزمان، الشيخ عبدالله خياط ، جريدة الندوة ، 1403/4/6هـ.

62. نظرة عابرة حول تحقيقات لغوية وأدبية من كتاب فقه اللغة، أبوتراب،جريدة البلاد السعودية، العدد 2416، 1376/8/29هـ.

63. نظرية النص الأدبي، د.عبدالملك مرتاض، مجلة الموقف الأدبي، العدد 201، 1988م.

64. النفثة اللفحاء (قصيدة)، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية، 1382/6/29هـ.

65. نهج الإمام (قصيدة)، أبو تراب، جريدة البلاد السعودية، 1381/7/20

66. هذه الاشتراكية ليست من الإسلام في شيء (سلسلة مقالات)، أبوتراب، جريدة البلاد السعودية، نشرت عام 1381هـ.

67. هكذا بدأت ، أبو تراب، جريدة البلاد ، العدد 2667، 1387/9/19هـ. وأعاد نشرها أبو عبدالرحمن الظاهري في مجلة العرب، الجزء الحادي عشر، السنة الرابعة، 1390هـ.

68. الهمس في الشعر الحديث، د.عبدالرحمن الهليل ، مجلة جامعة الإمام، العدد 47، رجب 1425هـ.

69. هواتف الضمير (قصيدة)، أبو تراب، جريدة الجزيرة، العدد10846، 1423/3/28هـ.

70. ورحل صاحب شواهد القرآن، عبدالله بن محمد الحميد، مجلة الأربعاء، العدد 232، ربيع الأول 1423هـ.

71. وقع الصيد بفخ (قصيدة)، أبو تراب ، جريدة عكاظ، العدد 266، 1385/5/9هـ.

72. وقفات مع لغة القرآن، أبو تراب، جريدة المدينة، نشرت ما بين عامي 1421-1423هـ.

73. وهم أبي تراب، أحمد عبدالغفور عطار، جريدة البلاد السعودية، 1381/7/29هـ.

74. ويحك يا أخا المليبار، أبو تراب، جريدة البلاد، العدد 8114، 1407/3/26هـ.

75. يوم التقى الجمعان، أبو تراب، جريدة عكاظ، العدد83، 1384/9/18هـ.

المقابلات والحوارات الصحفية:

1. "الراحل الباقي أبو تراب الظاهري"، مقابلات مع عدد من الأدباء والمفكرين بعد وفاة أبي تراب ، ملحق الأربعاء ، العدد 14266، ربيع الأول 1423هـ.

2. "موضوع مكتبة أبي تراب يتفاعل"، مقابلات مع عدد من المفكرين والأدباء حول مكتبة أبي تراب ، ملحق الأربعاء، العدد 14441، 1423/9/1هـ.

3. مقابلة مع محمد بن أبي تراب، ملحق الأربعاء، العدد 14266، ربيع الأول 1423هـ.

4. مقابلة مع أبي تراب في مجلة اقرأ، العدد :1234، 1420 هـ.

5. مقابلة مع المذيع عبدالله محمد رواس تضمنت ذكريات مع أبي تراب، جريدة البلاد، العدد 18025، 1427/2/5هـ.

6. مقابلتان مع أبي تراب في جريدة الجزيرة، العدد 5055، 5048 ،1406/11/18هـ.

7. أبو تراب الظاهري يرحل بصمت بعد أن أثرى المكتبة العربية، حوار مع عدد من الأدباء والمفكرين، جريدة الرياض، العدد 12369، 1423/2/23هـ.

8. مقابلة مع أبي تراب في جريدة عكاظ، العدد 7134، 1406/4/18 هـ.

9. "ولد في عصره ومات بين كتبه"، مقابلات مع عدد من تلاميذ أبي تراب، جريدة الوطن، العدد 583، 1423/2/22هـ.

10. مقابلة أجريت مع أبي تراب ، مجلة اليمامة، العدد 186، 1402/4/10هـ.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث	2
الباب الأول: أبو تراب الظاهري عصره وحياته وآثاره	5
الفصل الأول: الحالة الطبيعية والسياسية والاجتماعية والثقافية في عصر أبي تراب الظاهري	6
الفصل الثاني: الاتجاهات العلمية والأدبية في عصر أبي تراب الظاهري	11
الفصل الثالث: حياته وآثاره العلمية والأدبية	19
الفصل الرابع – العوامل المؤثرة في أدبه	44
الباب الثاني: أبو تراب الظاهري شاعرا	52
الفصل الأول – موضوعات شعر أبي تراب	53
الفصل الثاني – خصائص شعر أبي تراب الفنية	61
الباب الثالث: أبو تراب الظاهري كاتبا	71
الفصل الأول – موضوعات نثر أبي تراب	72
الفصل الثاني – خصائص نثر أبي تراب الفنية	88
خاتمة البحث	105
ثبت المصادر والمراجع	109

Abu Turab Az-Zahiri Wa Ishaamaatuhu Fi Tarweejil Lughatil Arabiyyah Wa Adaabiha

(ABU TURAB AL-ZAHIRI AND HIS CONTRIBUTION TO THE PROMOTION OF ARABIC LANGUAGE & LITERATURE)

Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University in partial fulfillment of the requirements for the award of the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

BY

ATAUR RAHMAN

Under the supervision of

DR. MD. QUTBUDDIN

Centre of Arabic and African Studies

School of Language, Literature and Culture Studies

Jawaharlal Nehru University

New Delhi-110067